

## تأثير الإسلام في الشعر

لقد جاء الإسلام بالجِد الذي لم يعرفه العرب ، فشغلوا أوقاتهم في تحصيل الدين، ونشر تعاليم ، وبطال كثير من عادات الجاهلية وأباطيلها وحرّم عليهم الكذب، وإشاعة الفاحشة في الناس، وقذف المحصنات كما قضى على العصبية التي بددت شملهم، وفرقت جمعهم، فكان لهذا أثر في تعطيل آلة الشعر، وتغيير نغمتها، وفتور كثير من الاعراض القديمة، كتأريث العداوات، وذكر العورات، والوقوع في الاعراض والفخر الكاذب والهجاء المقذع .

كما كان للقرآن - وهو في الذروة- من الفصاحة والبلاغة أثر في انبهار كثير من الشعراء حتى بلغ ببعضهم أن انقطع عن قول الشعر "كَلْبِيد" وهو فحْل من فحول الجاهلية ويرى أنه لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، وهو:

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجْلِي      حَتَّى كُنَّانِي مِنَ الْإِسْلَامِ سِرْبَالاً

ومن حديث "لبيد" أن "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه أرسل إلى عاملة على "البصرة" أن أرسل "لبيد والأغلب" ما أحدثنا في الإسلام؟

فقال الأغلب :

أرجزاً ترييد أم قصيداً      لقد سألت هيتاً موجوداً

وقال لبيد : قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران ، فزاد عمر في عطائه ، فبلغ به ألفين، فلما ولي " معاوية " قال : أو تدعني قليلاً ثم تضم عطائي إلى عطائك فتأخذ العطاءين جميعاً ؟

وأما من لم ينقطع عن قول الشعر ، فقد تركت فيه مفاجأة القرآن أثراً من الضعف ، كما تقدم الكلام في " حسان " .

ونستطيع بعد ذلك أن ندلي بعض أمثلة كان الشعراء فيها متأثرين بأسلوب القرآن سالكين نهجهم ، فالقرآن يقول:

﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤].

ويقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]

أخذ الأول " حسان " فقال في الرد على " ابي سفيان " حين هجا النبي ( ﷺ ) :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَنْهُ	وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
أَتَهَجُّوهُ وَلَأَسْتُ لَهُ بِكُفَاءٍ	فَشَرَكَمَا لِحَيْرِكَمَا الْفِدَاءُ
هَجَوْتُ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا	أَمِينِ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَقَاءُ
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ	وَيَمْدَحْهُ وَيَنْصُرْهُ سَوَاءٌ ؟

وأخذ الثاني أيضا في رثاء رسول الله ( ﷺ ) فقال :

عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنِ الْهُدَى	حَرِيصٌ عَلَىٰ أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
عُطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُنْشَىٰ جَنَاحُهُ	إِلَىٰ كَنْفٍ يَحْتَوِي عَلَيْهِمْ وَيَمَهْدُ
فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ النَّوْرِ إِذْ غَدَا	إِلَىٰ نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مَقْصِدُ

والقرآن يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]

و يقول: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]

أخذ الاول " حسان " فقال :

وَهَلْ يَسْتَوِي ضُلَالٌ قَوْمٌ تَسْفَهُوْا	عِمَائَتُهُمْ هَادٍ بِهَا كُلُّ مُهْتَدٍ
لَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ إِلَىٰ أَهْلِ يَثْرِبِ	رِكَابٌ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ

### وأخذ الثاني "معن بن أوس" فقال :

فما زلت في ليني له وتعطفي عليه كما تحنو على الولد الأم  
 وخفصي له مني الجناح تألفاً لتدنيه مني القرابة والرحم  
 وصبري على أشياء منه تربييني وكظمي عن غيظي وقد ينفع الكظم

والقرآن يقول: **يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴿١١﴾

[الحج: ٦١]

### أخذه "الناطقة الجعدي" فقال :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلماً  
 المولج الليل في النهار وفي الل الخافض الرافع السماء على ال  
 أرض ولم يبن تحتها دعماً

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ، ولاسيما في أشعار "حسان" وعبد الله بن

رواحه وأميرة بن أبي الصلت ، وغيرهم ممن كانت له نزعة إلى الدين :

### قال "عبد الله بن رواحة" :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا  
 وأن العرش فوق الماء حق وفوق العرش رب العالمينا  
 وتحمله ملائكة غلاظ ملائكة الإله مسومينا

كما نجد أن الشعر في صدر الإسلام قد بدأ في روجه ومعانية مملوءاً

بالتقوى والورع ، وتذكر البعث والجنة والنار .

### يقول "بجير" أخو "كعب بن زهير" :

من مبلغ كعباً فهل لك في التي تلوهم عليها باطلاً وهي أخزم  
 إلى الله (يا العزى ويا اللات) وحده فتتجو إذا كان النجاء وتسلم  
 لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت من الناس إلا طاهر القلب مسلم  
 فدين زهير وهو لا شيء دينه ودين أبي سلمى علي محرّم

ويقول أبو ذؤيب المذلي :

أبَا عُبَيْدِ رُفِعِ الْكِتَابُ      واقْتَرَبَ الْمَوْعِدَ وَالْحَسَابُ

ويقول " كعب بن زهير " :

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لَأَعْجَبَنِي      سَعْيُ الْفَتَى وَهُوَ مَحْبُوءٌ لَهُ الْقَدْرُ

يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا      فَالْنَفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمُّ مُتَشِيرُ

وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ      لَأُتَتَّهَى الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَثَرُ

أين هذا التصوير البارع لحقيقة القضاء والقدر من قول والده " زهير بن أبي سلمى " وهو من أحكم شعراء الجاهلية ، إذ يقول :

سُتِمَتْ تَكَالِيفُ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ      ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالَكَ يَسَامُ

رَأَيْتَ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تَصَبَّ      تَمَّتْهُ وَمَنْ تَخَطَّى يِعْمَرُ فِيهِمْ

حتى الشعراء البعيدة نفوسهم عن تهذيب الذين ظهر التأثير في شعرهم ، يقول " الحطيئة " :

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٌ      وَلَكِنَّ النَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ

وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ نَخْرًا      وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْأَتَقِيِّ مَزِيدٌ

وَمَا لَا بَدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبًا      وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْضِي بَعِيدٌ

وقال الحطيئة ، وهو أحكم بيت بالإجماع :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْذَمُ جَوَارِي      لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وبعد، فقد يبدو للنظر السطحي أن يسرع تأثير القرآن الكريم في الشعر فيبدو

الشعر كله رقيقاً في أساليبه، إسلامياً في روحه ومعانيه مع أن قسماً كبيراً من

شعراء البداية الذين أسلموا مسائرةً للناس طوعاً أو كرهاً ظل شعرهم في الإسلام

كما هو في الجاهلية فما سر تحقق سرعة التأثير ؟

## لذلك أسباب :

١- منها ما أسلفنا أن الطفرة محال، وأن تجديد الشعر يستلزم دراسة القرآن وتعاليم الدين وتشربها، وطبع الملكات ، النفسية واللسانية بطابعها ، وذلك يحتاج الى وقت طويل، وهيئات أن يحدث ذلك فى شهور أو سنوات، لذلك سنلاحظ أن من المخضرمين من استمرت ملكاته جاهلية " كالحطيئة " ومنهم من ترك الشعر " كلبيد " ومنهم من اضطرب بين الملكتين حتى ضعف شعره " كحسان "

٢- ومنها أن تأثير القرآن الكريم المنتظر كان يقوم وقفاً على أولئك الذين اتصلوا بالرسول ( ﷺ ) ودرسوا القرآن الكريم وتفهموه، وهم . أولاً : قليل بالنسبة الى أولئك العرب الذين أسلمت ألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، أو هؤلاء البدو الذين تشبسوا بحياتهم ولزموا كثيراً من عاداتهم التى حاربها الرسول ( ﷺ ) وتبعه فى ذلك " عمر بن الخطاب " .

**ثانياً :** على هؤلاء الأقربين الى الرسول ( ﷺ ) كما اسلفنا لم تسرع إلى نفوسهم وألسنتهم ملكات القرآن الكريم الأدبية فلم يظهر شعرهم الديني إلا على السنة الجيل الجديد، وأما " حسان " فمخ أنه دعا الى الدين الجديد وتعلقه به لكن ملكته الدينية لم تكن فى قوة الطبع الشعري القديم ، فكان هناك فرق بين ملكته القديمة والحديثة .

٣- ومنها أن هؤلاء الذين آمنوا بالقرآن مخلصين قد تلقوه، على أنه نص قدسي معجز لا يمكن معارضته ، فكان القرآن مثلاً أعلى لا يطمع أحد فى تقليده ، فاستغنوا به عن قول الشعر كما حدث " للبيد " .

## تطور النثر في عصر البعثة

### تعريف النثر :

قبل الكلام في هذا الموضوع يجب أن نعرف كلمة نثر ما هي؟ وماذا يراد منها في هذا البحث؟ أمعناها المراد هنا اللغوي، أي كل كلام منشور لم يتقيد بوزن ولا قافية، مهما يكن لفظه صحيحاً جميلاً أو لا، ومهما يكن معناه قيماً أو لا؟ أم معناه الاصطلاحي هو المقصود منه حين يطبق في باب الأدب، ويراد به الكلام المنشور المتميز بميزتين :

المعنى القديم ، واللفظ الصحيح الجميل .

وإذا كان المعنى الثاني هو المراد فهل نقف به عند ذلك النوع الأدبي أو الفني الذي يشبه الشعر في أن كلا منها يرمى إلى التأثير ويقصد إلى إثارة المشعور، أو يتناول أيضاً ذلك النثر العلمي ، الذي يرمى إلى التثقيف والتعليم ، كالفلسفة والدين والتاريخ والنقد، وإن لم يخلُ من عاطفة وإحساس .

### أنواعه :

ومعنى ذلك أن عندنا أنواعاً من النثر ، ثلاثة هي :

١- المحادثة

٢- النثر الفني

٣- النثر العلمي

( ١ ) المحادثة : -

قد جرى الباحثون على إخراج المحادثة من باب الأدب لأنها كلام عادي مكرر لا يستأهل التسجيل والدريس، ولفقدانه جمال العبارة وصحتها أحياناً، ثم قيمة المعنى، ولكننا بآراء العصر الإسلامي المسبوق بالعصر الجاهلي يجب أن نقف

قليلاً لنلاحظ أن هذه المحادثة، فيما يظهر - كانت صحيحة العبارة خاليةً من الخطأ واللحن . إذ هي الصورة اللغوية الأولى التي كانت مقياس النثر، وعنها وضعت قواعد النحو، ونحن لا اعترض لنا من الناحية اللفظية الصحيحة ، ولكننا نسأل بعد ذلك : ألم تكن هذه اللغة حواراً أحياناً ، وحكمه وأمثالا وعبارات متميزة في معانيها فوق صحة ألفاظها أحياناً؟

وإذاً فما يمنع أن يكون هذا الحوار أو الحديث أدباً ؟

الحق أنه لا فرق بين هذا الحوار الذي كان وبين الحوار الذي تهيأ الآن في لغة صحيحة، ويدور حول مسائل اجتماعية أو وصفية أو غير ذلك ، وغاية ما نريد إثباته أن المحادثة الإسلامية ( وقبلها المحادثة الجاهلية ) كانت أقرب الى اللغة الأدبية من محادثتنا الآن فقد كان للعرب مجالس سمر ، وتقصص وحوار ومشاورات تعقد في الليل وسط الحى أو بين الأحياء يتناول فيها القوم شئون الحياة ، وأخبار الماضى والحاضر يغذون بها أبناءهم ، ويرفهنون بها أنفسهم ، وكثيراً ما يشترك فيها النساء ، فكانت أشبه شيء بالمجالس أو المنتديات الأدبية ولو قد حققوا لنا التاريخ صوراً منها إفادتنا كثيراً في تصوير الحياة الاجتماعية لهذا الشعب العتيق . على أن محادثات الرسول ( ﷺ ) وأصحابه ( وقد بقى منها شيء كثير )

تعرض علينا صورة لهذه المحادثة :

١- في قرينش ،

٢- وفي آخر العصر الجاهلي ،

وهى صورة تقريبية على أية حال فقد ظهر الإسلام والرسول ( ﷺ ) يتحدث لغة قرشية فصيحها، وهى لغته قبل القرآن وهى كذلك لغة الحديث الجاهلية

فى صياغتها النحوية، بقيت كذلك من ناحية الصياغة العامة لم تتغير، فكانت أحاديث الرسول (ﷺ) صورةً للغة التخاطب الجاهلية ولا يطعن فى ذلك ما قد يكون فى رؤية الأحاديث من تغيير لأن التغيير لم يعم الأحاديث من جهة ولم يتناول عبارات كل حديث من جهة أخرى على أن هناك عبارات تروى على أنها من ابتكار الرسول (ﷺ) رويت بنصها مع جملة صالحة من الأحاديث الصحيحة، تصور لغة للحديث لا تختلف عن لغة القرآن الكريم فى الصياغة النحوية .

وكذلك القول فى لغات "أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وسفيان ابن أمية" وغيرهم من آل الرسول (ﷺ) وقريش ممن كانوا يتناقشونه حول الإسلام .

ويحسن أن نلاحظ أنه فى صدر الإسلام لم يكن هناك فرق فى هذه الصياغة بين الحديث والخطابة والكتابة فهى كلها لغة طبيعية لا صنعة فيها ولا فن .

معنى ذلك أن لغة التخاطب فى صدر الإسلام هى لغة التخاطب فى الجاهلية وإن تغيرت معانيها وموضوعاتها، نستطيع إذا أن نقرب إلى الأذهان لغة التخاطب والكتابة والقصص كما قلنا، وكما يلي التفصيل ، فهى قوية الاداء سليمة البناء، صحيحة الإعراب حتى على ألسنة الموالى الطويلى المكت بينهم أما حديثوا العهد فى الإقامة منهم فقد كانوا يرتضون لكتنه من لغتهم الأولى لحبشية بلال، وفارسية سلمان، ورومية صهيب .

وعلى الجملة فكانت المحادثة العادية خالية من اللحن وإن بدا من بعضهم بعض اللحن فقد كان ينظر إليه نظرة استهجان له واستعظام لما صدر منه فقد روى أن رجلاً لحن بحضرة النبي (ﷺ) فقال: " أرشدوا أخاكم فقد ضل . ولذلك قيل :

إن العربي الفصيح لا يخطيء لأن الإعراب جزء من لهجته لا ينفصم عنها فهي هذه الفترة سليمة من الخطأ إلا إذا اختلطت الأمة السليمة فتسمى حينئذ لغة عامة أو شعبية لا تعد في نظر النقاد أدبا لسبيين :

**الأول :** معنوى وهو تفاهة المعاني أو تكرارها وعدم نباهتها وعدم امتيازها فلا تستحق العناية والتسجيل .

**الثاني :** لفظي وهو تعرضها للأخطاء وتجاوز أصول النحو والبيان وليس لدينا نصوص حاسمة لهذه اللغة العامة اذا لم تدون ولم يحكها الرواة بالدقة في عصر التدوين بعد ذلك فذهبت صورتها الدقيقة في جنبات الصحراء .

## ( ٢ ) النثر الفني

قبل أن نتقدم الى إيضاح النثر الفني في هذه الفترة ينبغي أن نشير في إيجاز شديد الى نشأة الحياة الفنية عامة والفرق بينهما وبين الحياة العلمية في ذلك، وأول ذلك أن الحياة الفنية أسبق الى الوجود من الحياة العلمية إذ كانت الأولى تجارب ابتدائية وأخذا عن الطبيعة والحياة بشكل يشبه الاستقرار والتقليد ولكن الثانية تدوين لثمار هذه التجارب وإخضاعها لقوانين عامة تجمع شتاتها ، وتميز بين أنواعها وتردها إلى عللها العامة ومصادرها الأولى، فقد عرف الانسان الكوخ والدار قبل معرفته العمارة وهندستها، ووجدت الجزيرة قبل تعريفها الجغرافي . ونظم الشعراء قبل تدوين العروض، وأعجب الناس بألوان الطيف قبل تفسيره، وهكذا نجد الفن يسبق ثم يكون أساساً لتكوين العلوم لذلك ترى أن الحياة الفنية يمكن أن تزدهر في عصر البداوة ما دامت تعتقد في الغالب على الشعور فيكبر الشعور والخطابة إلى الوجود بعد تكوين الجماعات ولكن الحياة العلمية لا

توجد إلا في البيئات المستقرة والمدن القائمة لتيسر للعقل الهدوء والتفكير والموازنة والاستنباط والتجارب من التدوين، ومن هنا نرى التاريخ الإسلامي العام أن النثر العلمي تأخر في الوجود وكذلك النثر الفني الذي يعتمد على التجويد والصنعة وحسن التفكير ودقة التعليل: (الكتابة الانشائية).

**فالحياة الفنية سابقة على الحياة العلمية وكذلك الفنون كلها كالرسم والغناء والرقص والتمثيل توجد في عصور سابقة قبل أن تتحضر الشعوب وتستقر لإقامة الحياة العلمية المنظمة وسواء أكانت غاية الفنون الجميلة هي التعبير أم السرور أم الفائدة فإنها متشابهة الغايات وإن اختلفت في وسائل الأداء فهي في الشعر أو الأدب كلام أو لغة كلامية وهي في الرسم ألوان أو لغة لونية وهي في التصوير أحجار وفي الغناء أنغام وفي الرقص أجسام، وهكذا كانت لغة الفن مختلفة وغايتها واحدة ومنها اللغة الأدبية التي كانت وسيلة الحياة الأدبية.**

والنثر الفني الأدبي يتناول الخطبة والرسالة والقصة والحكمة والمثل ونحوها مما هو نصوص أدبية يراعى منها ناحية التأثير وإثارة العواطف ولسنا نشك في أن شيئاً من ذلك قد وجد ولا سيما الخطابة والكتابة والمعاهدات والرسائل السياسية والتشريعية، لأن الحياة الاجتماعية في ذلك العهد كانت تستدعي الخصومات والدعوة الدينية فكان لابد من أسنة تصور هذه الحوادث.

### ( ١ ) الخطابة :-

ولقد كانت الخطابة في الجاهلية أداة اجتماعية هامة للحرب والصلح والوفادة والزواج والمفاخرة والمنافرة والوعظ، وجاء الإسلام فازدادت نشاطاً وأخذت تستميل كذلك في موضوعاتها ومعانيها وألفاظها، نشطت استجابةً لهذه

الدعوة الجديدة وتغيرت فصارت دعوة دينية وسياسية وحرزية وإجتماعية وظهر أثر القرآن فيها سريعاً ،

١- لقرينها من فنه .

٢- ولاعتمادها عليه مباشرة .

٣- ولاقتباسها من آية .

٤- ولأنها فن سريع شفوى خصوصاً لدى العرب .

ومن تتبع نصوصها ، وأطلع على شواهدها ، وأمعن النظر في نماذجها تبين له متانة أسلوبها ، وعذوبة ألفاظها ، وشرف معانيها ، وقوة تأثيرها ، واقتباسها من القرآن ، وانتهاجها نهجه في الارشاد والاقناع ثم زدها عظمةً ورفياً إلى أن جاء القرآن نثراً لا شعراً وإن بلغ بنثره من التأثير في النفوس والوصول إلى مواطن الحجة والاقناع ما لم يبلغه الشعر، من قبل، وإن جاء رسول الله ( ﷺ ) غير شاعر يتصرف بخطابته تصرفاً تناول شتى الأمور من دعوة الى الدين وبيان أحكامه ، ورسم سياسة الدولة الدينية والاجتماعية والتشريعية، ومن تحميس الجند وحثهم على القتال والدفاع، وطمع الفتن، ورد البدع والحض على لزوم الطاعة وغير ذلك من جلائل الأمور التي يقصد قصدها، ويتجه نحوها في فصاحة لسان، وحسن بيان ونصاعة حجة، ودراية منطوق، وقوة الهام، وقُدرة على الجدل، وتمكُن من وسائل الإقناع، ومعرفة وعليدة بلغات العرب، ولهجاتهم على تنائى الديار، واختلاف اللهجات ثم جاء خلفاؤه من بعده فاستنوا سنته، وانتهجوا طريقته وساروا على هديه يعون الى الدين، ويشرحون تعاليم الإسلام وينفذون العهود والوصاية للقواد والولاة والقضاة بمثل ما كان يفعل رسول الله ( ﷺ ) ولكنهم تقحموا أبواباً جديدة

كانت موصدة أيام رسول الله ( ﷺ ) فقد حدث خلاف بين المهاجرين والأنصار كاد يتسع خطراً، لولا حكمة " أبي بكر وعمر " كما ارتد كثير من قبائل العرب أول خلافة " ابي بكر " حيث انفتح باب الفتنة الكبرى على مصراعيه فدخلت الأمة منه الى فرقة لا جمع لها، وإلى خلاف لم يأت بعده اتفاق، والتاريخ أصدق سجل وخير مُحدِّث عن ذبح " عثمان " ﷺ وما كان بين العلويين والأمويين وبين هؤلاء جميعاً والخوارج الناقمين مما أدى الى حرب الجمل وصفين وأنهى عهد الخلفاء الراشدين بقتل " علي - رحمه الله - سنة أربعين، وسيأتي تفصيل الخلافات أيام الأمويين .

فالخطابة في صدر الإسلام كان عليها أن تتناول هذه الأحداث والفتن التي أتسع أفضقها ، وعم شأنها وتشغل الناس بها ، ولولاها كل ذى مكانة مؤيداً أو معارضاً - موالياً أو معادياً - أكثر القول في قلب الولاة والحكام، وتنفص الخلفاء وإظهار معائبهم ، كالذي حدث في فتنة " عثمان " ﷺ أو يجادل خصمة ، ويوهن حجة، ويأخذ عليه نواحي الرأي، ومسالك الكلام كما حدث بين علي - كرم الله وجهه - والخوارج فظهرت قوة الحوار، وشدة الجدل، ونصوع الحجة ولدد الخصومة، لذلك وجدت الخطابة لها في هذا العصر وقوناً هائلاً اشعل جذوتها ، وأذكى نارها، وممددً فياضها فأكسبها الرقى والنمو والازدهار، وبقيت للخطابة عاداتها القديمة من اعتجار العمامة، والاشتغال بالرداء، واتخاذ المخرصة والوقوف على نشز من الأرض أو منبر وكان رسول الله ( ﷺ ) يعتمد على قوس في الحروب، وعلى عصا في السلم قبل أن يتخذ له المنبر، وكانوا يبدءونها بالحمد لله وتوحيده، والثناء عليه وتعظيمه، ثم الصلاة على خاتم أنبيائه وصفوته من خلقه ولذلك لما خلت خطبة " زياد " من هذا البدء سميت بالبتراء .

وقد جرى فيها على طرقي الإيجاز والإطناب إتباعاً للدواعي فقد خطب رسول الله ( ﷺ ) من لدن صلاة العصر حتى دنت الشمس للمغيب ، كما في رواية " أبي سعيد الخدري " .

كما ذكر أن " عمر " لما بويع وقف على المنبر فلم يزد على قوله بعد " الحمد لله ، والصلاة على نبيه ، ثم قال : " أيها الناس ، انه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى أخذ الحق له ، ولا أضعف عندي من القوى حتى أخذ الحق منه " ثم نزل .

هذا ، وخطباء صدر الإسلام بعد رسول الله ( ﷺ ) لا يحصون كثرة ، وأعظم الخلفاء الراشدين ، كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، غير أنه من المجمع عليه أن أخطب خطبائه غير مدافع ولا منازع بعد رسول الله ( ﷺ ) هو ابن عمه وزوج ابنته " علي بن أبي طالب " - رحمه الله تعالى - .

## نماذج من الخطابة في هذا العصر

لما نزل قوله تعالى : ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تَأْمُرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]

دعا رسول الله ( ﷺ ) قومه ، وصعد النبي - ﷺ - على الصفا ، فجعل يُنادي :  
 (( يا بني فھر! يا بني عدي ! )) لبطنون قريش حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم  
 يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فقال:  
 (( أرأيتم لو أخبرتم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغيرَ عليكم أكنتم  
 مصدقي؟ )) قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً .  
 قال : (( فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد )) .

فلما نزل قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]

جمعهم ( ﷺ ) فحمد الله ثم أثنى عليه فقال : " الحمد لله أحمده  
 وأستعيّنه وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له " .  
 ثم قال ، " إن الرائد لا يكذب أهله . والله لو كذبت الناس جميعاً ، ما كذبتكم  
 ولو غررت الناس ، ما غررتكم والله الذي لا إله إلا هو ، إني لرسول الله إليكم خاصةً  
 وإلى الناس كافةً ، والله ، لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن  
 بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً . وإنها للجنة أبدأ . والنار  
 أبدأ . وأنتم لأول من أنذر " .

وخطب رسول الله ( ﷺ ) حين دخل مكة فبعد أن طاف بالبيت سبعاً  
 على راحلته وأخذ مفتاح الكعبة من حاجبها " عثمان بن طلحة " وقف على باب  
 الكعبة وجمع أهل مكة وخطب فيهم فقال:

(( لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط أو العصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها، يا معشر قرينش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب، ثم تلا قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣]

ثم قال، (( يا معشر قرينش ما ترى أني فاعل بكم اليوم؟ )) قالوا: خيراً، أخ كريم ابن أخ كريم، قال: (( اذهبوا فأنتم الطلقاء... )) .

وخطب يوماً فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : " أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم فإن العبد بين مخالفتين أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه وأجل باق لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار " .

وخطب " أبو بكر الصديق " ﷺ يوم السقيفة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : أيها الناس! نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً وأوسطهم داراً، وأحسنهم وجوهاً، وأكثر الناس ولادةً في العرب، وأمسهم رحماً برسول الله ( أسلمنا قبلكم، وقدّمنا القرآن عليكم، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّيِّمُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ [التوبة: ١٠٠]

فنحن المهاجرين وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفىء وأنصارنا على العدو، أويتم وإسيتم، فجزكم الله خيراً، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله.

أما بعد أيها الناس، إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعلى كل حال، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم، فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير. مَنْ يَكْذِبْ يَفْجُرْ، وَمَنْ يَفْجُرْ يَهْلِكْ. وَإِيَّاكُمْ وَالْفَخْرَ، وَمَا فَخَرُ مَنْ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ وَإِلَى التَّرَابِ يَعُودُ، هُوَ الْيَوْمَ حَيٌّ غَدًا مَيِّتٌ. فَاعْمَلُوا وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتِ وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ فَرِّدُوا عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ، وَتَدَمُّوا لِأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا تُجِدُوهُ مَحْضَرًا، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَاعَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا

وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠]

فاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَرَاقِبُوهُ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَى قَبْلَكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ لِقَاءِ رَبِّكُمْ وَالْجَزَاءِ بِأَعْمَالِكُمْ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، إِلَّا مَا غَفَرَ اللَّهُ أَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ فَأَنْفُسَكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَالْمُسْتَعَانُ اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ أَفْضَلُ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، ذَكَّنَّا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَأَلْحَقْنَا بِهِ، وَاحْشُرْنَا فِي زَمْرَتِهِ، وَأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ. اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ وَانصُرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ.

ومن أبلغ كلامه حين عهد بالخلافة إلى " عمر " ﷺ ما روي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: دخلتُ على أبي بكر الصديق رحمة الله عليه في علته التي مات فيها يوماً، فقلت: أراك بارئاً يا خليفة رسول الله. فقال: أما إني على ذلك لشديد الوجع، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشدُّ عليَّ من وجعي، إني وليتُ أموركم خيركم في نفسي، فكأنكم ورغم أنفه أن يكون له الأمر من دونه، والله لتتخذنَّ نضائدِ الدُّباج، وستور الحرير، وتألَّمنَّ النوم على الصوف الأذريِّ كما يألم أحدكم النوم على حَسَكِ السَّعدان، والنبي نفسي بيده لئن يقدِّم أحدكم فتُضرب عنقه في غير حدٍّ خير له من أن يخوض غَمرات الدنيا، يا هادي الطريق، جُرت، إنَّما هو الفجر أو البحر.

فقلت: خَفِّضْ عليك يا خليفة رسول الله، فإنَّ هذا يهيضك إلى ما بك، فوالله ما زلتُ صالحاً مُصلحاً لا تأسى على شيء فاتك من الدنيا. ولقد تخَلَّيتُ بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيراً.

ومن خطب " عثمان " ﷺ . وقد نقم الناس عليه :

فقال : " أما بعد فإن لكل شئ آفة وإن لكل نعمة عاهة وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون ظنانون يظهرون لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم وتقولون طعام مثل النعام يتبعون أول ناعق أحب مواردهم إليهم النازح لا يشربون إلا نغصا ولا يردون إلا عسكرياً لا يقوم لهم رائد وقد أعيتهم الأمور وتعذرت عليهم المكاسب .

لقد أقررتُم لابن الخطاب بأكثر مما نقتم عليَّ ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وبقمكم وقممعكم وزجركم زجر النعام المخزومة فدنتم له على ما أحببتُم

أو كرهتم ومنت لكم وأوطأت لكم كنفى وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم عليّ  
 أما والله إني لأقرب ناصراً وأعز نفراً وأكثر عدداً وأقمن إن قلت هلم أن تجاب  
 دعوتي من عمر ولقد أعددت لكم أقرانكم وأفضلت عليكم فضولاً وكشرت لكم عن  
 نابي وأخرجتم مني خلقاً لم أكن أحسنه ومنطقاً لم أنطق به فكفوا عليكم ألسنتكم  
 وطعنكم وعيبكم على ولا تكلم فيني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم  
 لرضيتم منه بدون منطقي هذا، ألا فما تفقدون من حركم فوالله ما قصرت في بلوغ  
 ما كان يبلغ من كان قبلي ومن لم تكونوا تختلفون عليه فضل، فضل من مالي  
 فمالي لا أصنع في الفضل ما أريد إذن فلم كنت إماماً .

### ومن خطبه في الوعظ :

" إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا  
 إليها، إن الدنيا تفتنى وإن الآخرة تبقى، ولا تبطنركم الفانية ولا تشغلنكم عن  
 الباقية.. واحذروا من الله الغير، والزموا جماعتكم، ولا تصيروا أحزاباً، ثم قرأ  
 قوله تعالى:

﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ

بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ

لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وخطب "على بن أبي طالب" لما أريد على البيعة بعد قتل "عثمان" -رحمه  
 الله - فقال: " دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم  
 له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت،  
 واعلموا أنني إن أحببتكم رغبت لكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب،

وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه؛ أمركم، وأنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً".

ومن خطبه كرم الله وجهه حين استنفر أهل الكوفة لجرب الجمل، قال :  
"فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله إلى التلقين كافةً ، والناس في اختلاف والعرب بشراً المنازل ، مستضعفون لما بهم ، فرأب الله به الثأبي ، ولام به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به السبيل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الموغرة للقلوب ، والضغائن المشحنة للصدور ، ثم قبضه الله تعالى مشكوراً سعيه مرضياً عمله ، مغفوراً ذنبه ، كريماً عند الله نزلته . فيا لها من مصيبة عمت المسلمين وخصت الأقربين ، وولي أبو بكر فسار فينا بسيرة رضا ، رضى بها المسلمون .  
ثم ولي عمر فسار بسيرة أبي بكر رضى الله عنهما . ثم ولي عثمان فنال منكم وتلتم منه .

ثم كان من أمره ما كان ، أتيتموه فقتلتموه ، ثم أتيتموني فقتلتم : لو بايعتنا ؟ فقلت : لا أفعل ، وقبضت يدي فبسطتموها ، ونازعتكم كفي فجدبتموها وقتلتم : لا نرضى إلا بك ، ولا نجتمع إلا عليك ، وتراكمتم على تراكم الإبل الهيم على حياضها يوم وريدها ، حتى ظننت أنكم قاتلي وأن بعضكم قاتل بعضاً ، فبايعتموني ، وبايعني طلحة والزبير ، ثم ما لبثنا أن أستأذناني إلى العمرة .

فسارا إلى البصرة فقاتلا بها المسلمين ، وفعلا بها الأفاعيل ، وهما يعلمان والله أنني لست بدون من مضى ، ولو أشاء أن أقول لقلت : اللهم إنهما قطعاً قرابتي ، ونكثا بيعتي ، وألبا على عدوي . اللهم فلا تحكم لهما ما أبرما . وأرهما المساءة فيما عملا وأملاً" .

## الكتابة

إن من أقوى وسائل الحضارة والتمدن ، والرقي والتقدم فى جميع المجالات وأساس حاجيات الملوك والسلاطين والأمراء هى " الكتابة " . فكلما تعددت مناحى الحضارة ، واتسعت مناهج الفكر كانت الحاجة ماسة وملحة إلى " فن الكتابة " ويعنى بالكتابة هنا هى التى لا تمتاز عن أسلوب المشافهة ، لأنها امتداد للحديث العادى ، وليست فناً ذا ملكة خاصة ، أما الكتابة التى يتأنق فيها كاتبها ، ويحاول تحسينها ، وصيغها بالصيغة الفنية ذات الصناعة اللفظية يكون خاضعاً فى الغالب لأصول وتقاليد مرسومة ، هذا اللون من الكتابة لا يوجد إلا على يد الكُتَّاب فى القرنين ( الأول والثانى ) مثل " عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع " .

والم يسمح العهد الجاهلى بالكتابة ، حيث كان عصر سذاجة وبداءة بيد أنه لما جاء الإسلام وحثَّ على العلم والتعليم وكان أول آيات القرآن نزلاً " اقرأ باسم ربك الذى خلق " فهياً الإسلام المسلمين للثقافة والتهذيب ، والفتح والجهاد والولاية على الأرض وذلك لنشر الإسلام بين الشعوب والأمم .

هذا الأمر جعل الكتابة أساساً لتلك النهضة العظيمة التى أتاحتها الله للمسلمين ، وذلك ما وضع رسول الله ( ﷺ ) دعامته الأولى منذ بعثة سيدنا محمد ( ﷺ ) ، فقد أدرج ابن عمه سيدنا " على بن أبى طالب - رضى الله عنه - منذ طفولته على تعلم القراءة والكتابة ، وكذلك أخذ أخاه " جعفر بن أبى طالب " وكانت تلك خطته فى أسرته وعشيرته وقد امتن سيدنا محمد ( ﷺ ) على كل من يحسن القراءة والكتابة من أصحابه فجعلهم كُتَّاب وحيه ، وهذا هو أسمى ما يطمح إليه إنسان يؤمن بالله ورسوله .

وقد راسل محمد ( ﷺ ) الملوك والأمراء يخبرهم برسالته ، ويدعوهم إلى اعتناق دينه والإيمان بالله – عزوجل – وحده لا شريك له ، واستخدم في تدوين هذه الرسائل عليه السلام – كثرة كاتبة من كتبه الذين تعلموا القراءة والكتابة كما كتبوا له عهود الصلح التي عقدت بينه وبين قريش وغيرهم كثير من دخل الإسلام .

وقد عمل رسول الله ( ﷺ ) على تعميم الكتابة ، ففرض على أسارى غزوة بدر الكبرى ، والذين كانوا يجيدون القراءة والكتابة أن يفدى نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، فكان ذلك فتحاً مبيناً للعلم ، ولم يلحق النبي ( ﷺ ) بالرفيق الأعلى حتى أناف الكتاب على " خمسمائة " من الذين يجيدون القراءة والكتابة بين فتى وغناة ورجل وامرأة وكان كتابه ( ﷺ ) على نوعين :

**النوع الأول : كُتَّاب وحى لرسول الله ( ﷺ ) .**

**النوع الثاني : كُتَّاب أعمال .**

ومن كُتَّاب الأعمال كما يرئيه لنا " القضاعى " فى كتابه " عيون المعارف " الزبير بن العوام ، وجهم بن الصلت " وحذيفة بن اليمان " وكانوا يكتبون الصدقات والمغيرة بن شعبة والحصين بن نمير " وكانا يكتبان التداين والمعاملات . وقد سار خلفاء النبي ( ﷺ ) فى نشر الكتابة واستخدام الكُتَّاب فى رسائلهم إلى القادة والعمال ، وفى وصاياهم إلى قضائهم ، وكذلك فى مصالحتهم فى أهل البلاد المفتوحة وعامة المسلمين .

وقد بقيت الكتابة من عمل النبي ( ﷺ ) وأصحابه من بعده ينشئون بمَلَكتهم فيكتبون بأيديهم أو يُملُون غيرهم إن لم يكونوا كاتبين .

ولهذا لم توجد طائفة خاصة تدعى " طائفة الكتابة " كما صارت إلى الحال

فيما بعد .

## ميزات الكتابة

ومن ميزات الكتابة في هذا العصر، وهي طابعها السهل، وبعدها عن التكلف مع ميلها إلى الإيجاز، وتصددها إلى الغرض المطلوب وخلوها من عبارات التفخيم، فما عرفوا ضمير الجمع إلا له فيقولون "أنا وأنت" و"احتدناؤها حنوا" القرآن الكريم ونلك في الجزلة والقوة وامتداد الجمل، ورسوخها في الفصاحة ولم يكن يميزها عن أسلوب المشافهة إلا ابتداؤها بقولهم:

"من عبد الله" فلان "أمير المؤمنين إلى" فلان بن فلان "أما بعد فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو أو هذا ما عاهد به أمير المؤمنين، أو هذا ما أوصى به أمير المؤمنين، أو هذا ما صالح به أمير المؤمنين، كما كان الوالي أو القائد إذا كتب إلى الخليفة قدم اسم الخليفة فيقول مثلاً:

"من سعد بن أبي وقاص" إلى أمير المؤمنين "عمر"، وقد يقول: "إلى أمير المؤمنين من فلان".

وكانت الكتابة ترمى إلى الغرض دون إمالة أو تكلف بعيدة عن فضول الكلام حتى لقد كان الكتاب في بعض الأحيان يكتبون سطرًا واحدًا كما كتب "عمر بن الخطاب" - رضي الله عنه - إلى "عمر بن العاص":

"من أمير المؤمنين" عمر بن الخطاب" إلى "عمر بن العاص" أما بعد "فما تبالي يا عمر! إذا شجعت أنت ومن معك أن أهلك أنا ومن معي فوا غوثاه ثم واغوثاه":

فاجابه عمرو: "إلى أمير المؤمنين" عمر بن الخطاب "من" عمر بن العاص":

سلام عليك ( أما بعد ) فقد أرسلت إليك بغيراً أولها عندك وآخرها عندي والسلام .

وربما وقف الكتاب عند جملة واحدة ، كما كتب " خالد بن الوليد " إلى " عياض بن غنم " حين استنجده وهو محاصر بدومة الجندل : " إياك أريد " ولعل هذا أوجز كتاب في الأدب العربي .

هذا ما يتعلق بالكتابة في عهد رسول الله ( ﷺ ) وخلفائه الراشدين ، ومنه يعلم أن الكتابة كانت كتابة رسائل فحسب ، ومع ذلك لم تصطبغ بصيغة ذات صناعة لأن العهد كان قريباً من البداوة .

أما كتابة الدواوين فكانت تؤدى بلغة أهل مصر ، وهي القادسية في " فارس ، والعراق ، والرومية بالشام ، والقبطية في مصر " إلى أن كان تعريب الدواوين على عهد " عبد الملك بن مروان " ، كما سيجئ تفصيل ذلك .

## نماذج من كتابة هذا العصر

١- كتب رسول الله (ﷺ) إلى ملك الفرس (كسرى أبرويز) :

" بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله إلى " كسرى " عظيم " فارس " سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وأدعوك بدعاية الله - عزوجل - فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . أسلم تسلم فإن توليت فإن إثم المجوس عليك " .

٢- وكتب إلى ملك الروم :

" بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله إلى " هِرَقْل " عظيم " الروم " سلام على من اتبع الهدى ( أما بعد ) فإنى أدعوك بدعاية الإسلام - أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين<sup>(١)</sup> ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون " .

٣- وكتب إلى " المقوقس " عظيم القبط بـ " مصر " :

" بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله (ﷺ) إلى " المقوقس " عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى ( أما بعد ) فإنى أدعوك بدعاية الإسلام فاسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم القبط ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضاً بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون " .

١ - قيل : هم الخدم والحول نصبره إياهم عن الدين ، وقيل : هم عبدة النار فجعل عليه إثمهم .

#### ٤- وكتب إلى " النجاشي " ملك الحبشة :

" بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله ( ﷺ ) إلى " النجاشي " ملك الحبشة - إني أحمد إليك (١) الله الملك القدوس (٢) السلام ، المؤمن المهيم وأشهد أن عيسى ابن مريم البتول (٣) الطيبة الحسنة . حملته من روحه ونفخه كما خلق " آدم " بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وأن تتبعن وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله ( ﷺ ) وإني أدعوك وجنودك إلى الله - عز وجل - وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي ، وقد بعثت إليكم ابن عمي " جعفرًا " ومعه نفر من المسلمين ، والسلام على من اتبع الهدى . "

٥- ولما ادعى "مُسيِّمَةَ" النبوة. وكتب إلى النبي محمد ( ﷺ )  
"من مسيلمة رسول الله سلام عليك(أما بعد) فإني قد أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها - ولكن قريشاً قوم يعتدون . "

كتب إليه ( ﷺ ) :

" بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله ( ﷺ ) إلى " مسيلمة الكذاب " - السلام على من اتبع الهدى ( أما بعد ) فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . "

٦- وعهد " أبو بكر الصديق " - إلى " عمر " بالخلافة عند موته فقال : " بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد به " أبو بكر " خليفة محمد رسوله ( ﷺ ) عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها

1 - أي أحمد الله معك أو أحمد الله حمدًا أشهدك عليه أو أوجهه إليك في مقابلتك .

2 - تقديس الله : تنزهه وهو القدوس .

3 - العابدة المنقطعة للعبادة .

الكافر، ويتقى الفاجر إني استعملت عليكم " عمر بن الخطاب " فإن برّ وعدل  
فذلك علمي به ، ورأى فيه ، وإن جارَ ويَدُل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ، وكل  
امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " .

٧- ومن وصاياهم إلى أولياء عهودهم وصية " أبي بكر الصديق "

لـ " عمر " رضى الله عنهما :-

" إني مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل لا يقبله  
بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة  
فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله  
عليهم ، وحقٌ لميزن لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً إن الله ذكر أهل الجنة  
فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم فإذا ذكرتهم قلت إني أخاف  
ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار ، فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم فإذا  
ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب  
ليكون العبد راغباً راهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يلقي بيده إلى التهلكة  
فإذا حفظت وصيتي هذه فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإن  
صدقته وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجز الله " .

٨- ومن إرشادهم لقضاتهم كتاب " عمر " إلى " أبي موسى

الأشعري " وقد ولاه القضاء :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، من " عبد الله عمر " أمير المؤمنين إلى " أبي  
موسى الأشعري " سلام عليك ( أما بعد ) فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة  
متبعة فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس بين الناس

في وجهك وعدلك ، ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلّ حراماً أو حرم حلالاً . لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل . الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينةً أمراً ينتهي إليه ، فإن أحضر بينة وإلا استحللت عليه القضية فإنه أتقى للشك ، وأجلى للعمى والمسلمون عُذُولُ بعضهم على بعض إلى مجلوداً في حد مجرأ أو مجرياً عليه شهادة زور أو ضعيفاً ، في ولاء أو نسب فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والإيمان إياك والغلق ، والضجر والتأذى بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ، ويحسن الزخر ، فمن صمّت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله ، فما ظنك بثواب الله في عاجل رزقه ، وخزائن رحمته والسلام ."

٩- ومن مصالحتهم لأهل البلاد المفتوحة ما كتبه " عمر " إلى أهل

" إيلياء " " بيت المقدس " :-

" بسم الله الرحمن الرحيم " : هذا ما أُعْطِيَ " عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل " إيلياء " من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئتها وسائر ملتها أنه لا تُسْكَنُ كنائسهم ولا تُهدم ولا يُنْقَصُ منها ولا من

حَيَّزَهَا ، ولا من صليبيهم ، ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ، ولا يُضار أحد منهم ، ولا يسكن " إيلياء " معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل " إيلياء " أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل " إيلياء " من الجزية ، ومن أحبَّ من أهل " إيلياء " أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم ، وصلبانهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبانهم حتى يبلغوا مأمنهم " .

١٠ - ومن رسائلهم إلى أمراء الأمصار ما كتبه " عثمان " - رضى

الله عنه - إلى عماله حين ولي الخلافة :-

( أما بعد ) فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا نعاة ولم يتقدم إليهم أم يكونوا حياة وإن صدرت هذه الأمة خلقوا حياة - وليوشكن أئمتكم أن يصيروا حياة ولا يصيروا دارة فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء . ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تعتنوا بالذمة فتعطوهم الذى لهم وتأخذوهم بالذى عليهم . ثم العدو تتنابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء " .

١١ - ومن مناشير إلى عامة المسلمين ما كتبه " عثمان " :

" أما بعد فإنما بلغتم ما بلغتم بالافتداء ، والاتباع فلا تلتفتكم الدنيا عن أمركم فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداء بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولاد السبأيا ، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن ، فإن رسول الله ( ﷺ ) قال : الكفر فى العجمة فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا " .

## ١٢- وكتب " على " إلى " معاوية " بعد وقعة الجمل :-

" سلام عليك ( أما بعد ) : فإن بيعتى بالمدينة لزمتمك وأنت بالشام لأنه بايعنى الذين بايعوا " أبا بكر، وعمر، وعثمان ، وعلى " ما بايعوا عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك رضىً ، وإن خرج عن أمرهم خارج رده ، إلى ما خرج عنه ، فإن أبى قاتلوه ، على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى وأصله جهنم وساءت مصيراً ، وإن " طلحة والزبير " بايعانى ثم نقضاً بيعتهما وكان نقضهما كردهما فجاهدتهما بعدما أعذرت إليهما حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، أحبّ الأمور إلى قبلك العافية وقد أكثرت فى قتلة " عثمان " فإن أنت رجعت عن رأيك وخلافك وبخلت فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكمت القوم إلى حملتك وإيأهم على كتاب الله .

وأما تلك التى تريدها فهى خدعة الصبى عن اللبن والعُمريّ لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ قريش من دم " عثمان " وأعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يدخلون فى الشورى وقد بعثت إليك من قبلك " جرير بن عبد الله " وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فبايعه ، ولا قوة إلا بالله " .

## ١٣- فكان جواب " معاوية " على هذه الرسالة :-

" من " معاوية بن صخر " إلى " على بن أبى طالب " ( أما بعد ) : فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برئ من دم " عثمان " كنت " كأبى بكر وعمر وعثمان " رضى الله عنهم أجمعين ولكن أغربت " بعثمان " المهاجرين ، وخذلك عنه الأنصار فأطاعك الجاهل ، وتوى بك الضعيف ، وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى

تدفع إليهم قتلة " عثمان " فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمري ما حجتك على كحجتك على " طلحة والزبير " لأنهما بايعاك ، ولم أباعك ، وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل العراق لأن أهل العراق أطاعوك ولم يُطعك أهل الشام ، وأما شرفك في الإسلام وقربتك من رسول الله ( ﷺ ) وموضعك من قریش فليست أدفعه " .

وقد رد عليه " علي بن أبي طالب " كرم الله وجهه ، واستمرت المكاتبات بينهما طويلاً حتى كانت الحرب ، فلنقف عند هذا القدر ، ونكتف بما ذكرناه من نماذج لضيق المقام .

## النثر العلمي

أما النثر العلمي الذي يقصد به التهذيب العقلي والتأليف والتصنيف فالمعقول أن العصر الجاهلي والإسلامي لم يظفروا منه بشيء، إذ أن ذلك يستتبع حياة علمية ناضجة، واستقراراً هادئاً، ولم يتوافر شيء من ذلك إلا قليلاً نادراً في بعض مدن الحجاز، ولكن انعدام الكتابة وغلبة العمل الاقتصادي قد حالاً دون بحث أو تقرير علمي.

ولما ظهر الإسلام شغل العرب الفتوح ونشر الدين أولاً، وبالفتن الداخلية ثانياً مدة القرن الأول، وكانت الخطابة والشعر والكتابة تسائر ذلك كله، فانقضى ذلك العهد دون أن يدون كتاب، إلا ما كان من أمر القرآن في إثباته على الرِّقاع ونحوها مدة "أبي بكر" وفي المصاحف على عهد "عثمان" وكان اعتماد القوم في دينهم وديناهم على كتاب الله، وسنة رسوله، وحين الاشتباه يكون مرجعهم إلى الخلفاء والفقهاء، والاجتهاد، حتى أقوال النبي (ﷺ) وفتاوى صحابته لم يدونوها "اللهم إلا ما سبق من موقف" عبد الله بن عمرو بن العاص "مخافة أن ينتهي بهم التدوين إلى إهمال الحفظ، والاعتماد على الكتاب المعرض للضياع والتصحيف والتحريف، وفي كل ذلك من الأضرار ما كانوا يَحْذَرُونَ، ولولا اشتداد الخلاف بين القراء في الأمصار، ما أقدم "عثمان" رضي الله عنه على نسخ القرآن.

ولما دخل الأجانب في الإسلام ولهم عراقية ورسوخ في العلوم والحضارات أخذ المسلمون في التفكير والإنتاج العلمي والتأليف والتصنيف نشأت الكتابة العلمية منذ أواخر العصر الأموي، وظهرت بشكل واسع ومنظم في العصر

العباسي، وجملة القول أن الحياة الإسلامية وجد فيها فنون من النثر الأدبي دون النثر العلمي، ذلك النثر الفني الذي علت منزلته، وارتفعت قيمته، لأنه أسلوب الدعوة الدينية وأداة الهداية التشريعية، وسيلة البيان للأصول والأحكام بألفاظ عربية فصحة، سمحة عذبة لا تُكِدُّ الألسنة ولا تنبوعن الأفئدة، ولا تقول على الأسماع جانبة لكل وحشى غريب، أو متنافر ثقيل تأثراً بفصاحة القرآن وفصاحة النبي (ﷺ).

## خطبة أبي بكر

" إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه ، ولا تبلى جزؤها الأعمال ، فله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم فقد جمع كلمتكم ، أصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام ، ونفى عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشركوا بالله ، ولا أن تتخذوا إلهاً غيره ، فالعرب اليوم بنو أم وأب وقد أرى أن استنفرهم إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ، ويجعل الله كلمته العليا ، مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر ، فمن هك منهم هلك شهيداً وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاش منهم عاش مدافعاً عن الدين ، مستوجباً على الله عز وجل ثواب المجاهدين ، هذا رأى الذى رأيت فليشر على امرئ بمبلغ رأيه .

ثم إن أبا بكر - رحمة الله عليه ورضوانه - قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ، وذكره بما هو أهله ، وصلى على النبي ﷺ - ثم قال :-

يا أيها الناس ، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام ، وأعزكم بالجهاد ، وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين ، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام ، فإنى مؤمر عليكم أمراء وعاقدهم ألوية ، فأطيعوا ربكم ، ولا تخالفوا أمراءكم ، ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ."

## خطبته بعد البيعة

حمد الله وأثنى عليه . ثم قال :-

"أيها الناس: إني قد وئيت عليكم ولست بخيركم ، لأن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسدوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ."

## خطبة له في الأنصار

ووصل إليه مال من البحرين فساوى فيه بين الناس فغضبت الأنصار ، وقالوا له فضلنا ، فقال " أبو بكر " صدقتم ، إن أردتم أن أفضلكم صار ما عملتموه؛ للدينا وإن صبرتم كان ذلك لله - عز وجل - فقالوا : والله ما عملنا إلا لله تعالى وانصرفوا فرقى " أبو بكر " المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ( ﷺ ) ثم قال :

" يا معشر الأنصار : إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم في ظلالنا ، وشاطرناكم في أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا قلتتم : إن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد . فنحن وأنتم كما قال " طفيل الغنوى " :

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقتني	بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمننا	تلاقى الذى يلقون منا لملت
هم أسكنونا فى ظلال بيوتهم	ظلال بيوت أدفأت وأظلت

## خطبة عمر

فقام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي  
(ﷺ) ثم قال :

" الحمد لله الذى يخص بالخير ما يشاء من خلقه ، والله ما استبقنا إلى  
شئ من الخير قط إلا سبقتنا إليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قد والله أرى  
لقاءك لهذا الرأى الذى ذكرت فيما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن فقد  
أصبت ، أصاب الله بك سبل الرشاد ، وسرّب إليهم الخيل فى إثر الخيل ، وابعث  
الرجال تتبعها الرجال والجنود تتبعها الجنود ، فإن الله - عز وجل - ناصر دينه  
ومعز الإسلام وأهله ، ومنجز ما وعد رسوله .

وخطب أيضاً ، فقال بعدما حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي (ﷺ) :-  
" أيها الناس، إن بعض الطمع فقر، وإن بعض اليأس غنى وإنكم تجمعون  
ما لا تأكلون ، وتأمّلون ما لا تدركون ، وأنتم مؤجلون فى دار غرر ، كنتم على عهد  
رسول الله (ﷺ) تؤخذون بالوحى ، فمن أسرّ شيئاً أخذ بسريرته ، ومن أعلن شيئاً  
أخذ بعلايته ، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسراير فإن من أظهر لنا  
قبيحاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به  
حسناً وعلّموا أن بعض الشُّحّ شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق  
شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، أيها الناس أطيبوا مثواكم ، وأصلحوا أموركم  
واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القباطى فإنه إن لم يشف فإنه يصف أيها  
الناس ، إنى لوددت أن أنجو كفافاً لا لى ولا على ، وإنى لأرجو إن عمرت فيكم  
يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ، وأن يبقى أحد من المسلمين وإن

كان في بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله وإن لم يعمل إليه نفسه ، وأم ينصب إليه بدنه ، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ، والقليل في رفق خير من كثير في عنف ، والقتل حتف من الحتوف يصيب البرّ والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه وإذا أراد أحدكم بعيداً فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه به بعضاً فإن وجده جديد الفؤاد فليشتره " .

وخطب أيضاً فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال :

" أيها الناس : من أراد أن يسأل عن القرآن ، فليأت " أبا بن كعب " ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت " زيد بن ثابت " ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت " معاذ بن جبل " ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني ، فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً ، إني بادئ بأزواج رسول الله ( ﷺ ) فمعطهن ثم المهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم أنا وأصحابي ، ثم بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم من أسرع إلى الهجرة أسرع إليه العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومن رجل إلا مناخ راحلته ، إني قد بقيت فيكم بعد صاحبي فابتليت بكم وابتليت بي ، وإني لن يحضرنى من أموركم شئ فأكله إلى غير أهل الجزء والأمانة ، فلئن أحسنوا لأحسنن إليهم ولئن أساءوا لأنكلن بهم " .

## خطبة علي بن أبي طالب

" الحمد لله الذي بعث محمداً منّا نبياً ، وبعثه إلينا رسولاً فنحن بيت النبوة ومعدن الحكمة ، وأمان أهل الأرض ، ونجاة لمن طلب ، ولنا حق أن نعطه نأخذه وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل ، ولو طال السُّرى ، لو عهد إلينا رسول الله ( ﷺ ) عهداً لأنفذنا عهده ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت ، لن يسرع أحد قبلى إلى دعوة الحق ، وصلة رحم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اسمعوا كلامى ، وعُوا منطقى عسى أن تررأ هذا الأمر من بعد هذا المجمع تنتضى فيه السيوف ، وتخان فيه العهود ، حتى تكونوا جماعة ، ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة ، وشيعة لأهل الجهالة ، ثم أنشأ يقول ،

فإن تك جاسم هلكت فإنى	بما فعلت بنو عبيد بن ضخم
مطيع فى الهواجر كلّ عى	بصير بالنوى من كل نجم

## خطبة لعلی

وخطب "علی" لما سار "الزیر وطلحة" من مكة ومعهما "عائشة" يريدون  
"البصرة" فقال :-

"أيها الناس إن "عائشة" سارت إلى "البصرة"، ومعها "طلحة" و"الزیر"  
وكل منهما يرى الأمر له دون صاحبة، أما "طلحة" فابن عمها، وأما "الزیر"  
فختها، والله لو ظفروا بما أرادوا - ولن ينالوا ذلك أبداً - ليضربن أحدهما عنق  
صاحبه بعد تنازع منهما شديد، والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبةً  
ولا تحل عقدًا إلا في معصية الله وسخطه حتى تورث نفسها ومن معها موارد الهلكة  
إلى والله ليقتلن ثلثهم، وليهرين ثلثهم، وليتوين ثلثهم، وإنها التي تنجها كلاب  
الحوأب، وإنهما ليعلمان أنهما مخطئان، ورُبَّ عالم قتلته جهله، ومع علمه  
لا ينفعه، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فقد قامت الفتنة فيها الفئة الباغية أين  
المحتسبون؟ أين المؤمنون؟ مالي ولقريش! أما والله لقد قتلتم كافرين ولأقتلنهم  
مفتونين، ومالنا إلى عائشة من ذنب إلا أننا أدخلناها في حيزنا، والله لأبقرن  
الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته، فقل لقريش فلتضحّ ضجيجها، ثم نزل.

## خطبة علي بن أبي طالب

فلما رجع " القعقاع " من عند أم المؤمنين ، وطلحة والزبير ، جمع الإمام عليّ الناس ، ثم قام على الغرائر ، فَحَمِدَ اللَّهَ - عزوجل - وصلى على النبي ( ﷺ ) ونكر الجاهلية وشقاها ، والإسلام والسعادة ، وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ( ﷺ ) ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه ، ثم حدث هذا الحدث ، الذى جرّ على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا رد الأشياء على أديارها ، والله بالغ أمره ، ومصيب ما أراد إني راحل غداً فارتحلو ، ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على " عثمان " - رضى الله عنه - بشئ فى شئ من أمور الناس ، وليغن السفهاء عنى أنفسهم .

## خطبة الأحنف بن قيس

## بين يدي عمر بن الخطاب

قَدِمَ الأحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -  
في أهل البصرة وأهل الكوفة ، فتكلموا عنده في أنفسهم وما ينوب كل واحد منهم  
وتكلم الأحنف فقال :

" يا أمير المؤمنين : إن مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق  
وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية ، والملوك  
الجبابة ، ومنازل كسرى وقيصر وبنو الأصفر ، فهم من المياه العذبة والجنان  
المخسبة في مثل حواء السلى ، وحادقة البعير الغاسقة ، تأتيهم نارهم غضة قبل  
أن تتغير ، وإننا معشر أهل البصرة نزلنا أرضاً سبخة هشاشة ، زعقة نشاشة  
طرف في مقلاة ، وطرف في ملح أجاج ، جانب منها منابت القصب ، وجانب  
سبخة نشاشة لا يجف ترابها ، ولا ينبت مرعاها ، تأتينا منافعها في مثل مرئ  
النعامة ، يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة بمثل  
ذلك ترنق ولدها ترنيق العنز تخاف عليه العدو والسبع ، دارنا نعمة ، ووظيفتنا  
ضيقة ، وعددنا كثير وأطرافنا قليل وأهل البلاء فينا كثير ، ودرهمنا كبير ، وفقيرنا  
صغير ، وقد وسع الله علينا وزدنا في أرضنا ، فوسع علينا يا أمير المؤمنين ، وزدنا  
وظيفة توظف علينا ونعيش بها ، فإلا ترفع خيستنا<sup>(١)</sup> ، وتنعش ركيستنا<sup>(٢)</sup> ، وتجبر  
فاقتنا وتزد في عيالنا عيالاً ، وفي رجالنا رجالاً ، وتُصَفِّر<sup>(٣)</sup> درهمنا ، وتكبر فقيدنا  
وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء ، هلكننا "

قال عمر : هذا والله السيد ، هذا والله السيد ، قال الأحنف : فما زنت

أسمعها بعدها .

1 - رفت من خسيسته : فعلت به فعلا فيه رفعته .

2 - الزكس : قلب أول الشيء على آخره . وارتكس : ارتكس . وقع .

3 - صفرة : صبغه بصفرة ، أى تبذلنا بالدرهم الأبيض ديناراً أصفر ، وتجعل فضتنا ذهباً .

## خطبة الأحنف بن قيس

فقام الأحنف فقال :

" يا أمير المؤمنين : إن مفاتيح الخير بيد الله ، والحرص قائد الحرمان فاتق الله فيما لا يغنى عنك يوم القيامة قبلاً ولا قالاً ، واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والإنصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود ، واستماحة المتاح ، فإن كل امرئ يجمع في وعائه إلى الأقل ممن عسى أن تقتحم الأعين فلا يوفد إليك ."

## خطبة عمرو بن معد كرب الزبيري

ثم قام عمر بن معد يكره الزبيري فقال :-

" إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق الصواب وملاك النجعة الارتياح ، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة فاجتنب طاعتنا بلفظك واكتظم بادرتنا وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا فإننا أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير ، من أراد لنا قضمًا ولكن منعنا حمانا من كل من رآم لنا هضمًا ."

## خطبة قيس بن ساعدة الإيادي

خطب خطبة قيس بن ساعدة الإيادي بسوق عكاظ ، فقال :

"أيها الناس : اسمعوا و'عوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ  
آت ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهـر ، وبحار تزخر ، وجبال  
مراصة وأرض مدحاة ، وأنهار مجرأة . إن في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لعبراً  
ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا ؟ يقسم قسّ  
باللّٰه قسماً لا إثم فيه : إن الله ديناً هو أرضى له ، وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه  
إنكم لتأتون من الأمر منكرًا . ويروي أن قساً أنشأ بعد ذلك يقول :

في الذاهبين الأوليين	من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردنا	للموت ليس لأمصـار
ورأيت قومي نحوها	تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إلى	ولا من الباقيـن غايـر
أيقنت أني لا محـا	لة حيث صار القوم صائر

## خطبة قُسس بن ساعدة عند قيصر

وكان قُسس بن ساعدة يفد على قيصر ويزوره ، فقال له قيصر يوماً : ما أفضل العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وتوف المرء عند علمه . قال : فما أفضل المرءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه . قال : فما أفضل المال ؟ قال : ما قُضى به الحقوق .

### الوصايا

**الوصية هي :** " قول حكيم مجرب للأمور ، قد خيرا الدنيا ، وسبر أغوارها وذلك ليفيد منها من يجيء بعده وتكون نبأ سأل له يضى أمامه الطريق اللاحب ليجتاز العقبات ويتفادى الأزمات ، وينجو بنفسه من المهلكات .

وتقول معاجم اللغة : وصى ، أوصى الرجل ووصاه : عهد إليه .  
قال رؤبة : " وصّانى العجاج فيما وصّنى .

أراد فيما وصّانى ، فحذف اللام للقافية ، وأوصيت له بشئ وأوصيت إليه إذا جعلته وصيّك . وأوصيته ووصيته إيصاءً وتوصيةً بمعنى . وتواصى القوم أى أوصى بعضهم بعضاً .

**وفى الحديث :** " استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان ، والإسم الوصاة والوصاية والوصاية والوصية أيضاً : ما أوصيت به .

**والوصى :** الذى يوصى والذى يوصى له وهو من الأضداد ، ابن سيده :  
الوصى الموصى الموصى ، والأنثى وصى ، وجمعهما جميعاً أوصياء ، ومن العرب من لا يثنى الوصى ولا يجمعه اللبث : الوصاة كالوصية وأنشد :

ألا مَنْ مَبْلَغَ عَنَى يَزِيدَا      وصاة من أخى ثقة ودود  
يقال : وصى بين الوصايا والوصية : ما أوصيت به ، وسميت وصية لاتصالهما  
بأمر الميت ، وقيل لعلى ، عليه السلام - وصىُّ لا اتصال نسبه وسببه وسمته بنسب  
سيدنا رسول الله ( ﷺ ) قلت : كرم الله وجه أمير المؤمنين على وسلم عليه هذه  
صفاته عند السلف الصالح رضى الله عنهم - ويقول فيه غيرهم : لولا دعاية فيه  
وقول كثير :

تُخْبِرُ من لا قيت أنك عائــــــز      بل العائز المحبوس فى سجن عارم  
وصى النبى المصطفى وابن عمه      وفكاك أغلال وقاضى معــــــارم

وقوله - عز وجل - : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ [النساء: ١١]

معناه يفرض عليكم لأن الوصية من الله إنما هى فرض ، والدليل على ذلك  
قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْنَلُوا الْتَفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾  
[الأنعام: ١٥١]

وقوله : ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ ﴾ [البقرة: ١٣٢]

وقوله ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ [الشورى: ١٣]

وقوله : ﴿ وَعَهَّدَ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

وهذا من الفرض المحكم علينا.

وقوله تعالى : ﴿ اتَّوَصَّوْا بِهِ ﴾ [الذاريات: ٥٣]

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣]

وقوله : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧].

قال أبو منصور: أى أوصى أولهم آخرهم ، والألف ألف استفهام ومعناه التوبيخ وتواصوا : أوصى بعضهم بعضاً ، ووصى الرجل وصياً وصله ، ووصى الشئ بغيره وصياً وصله ، أبو عبيد : وصيت الشئ ووصلته سواء ، قال ذو الرمة :

وصى الليل بالأيام حتى صلاتنا مقاسمة يشفق أنصافها السفر

يقول : رجع صلاتنا من أربعة إلى اثنين فى أسفارنا الحال السفر .

قال الأصمعى : وصى الشئ يصى إذا اتصل ، ووصاه غيره يصيه . وصله (١) .

---

1 - لسان العرب - لابن منظور . المجد السادس . مادة ( وصى ) ص ٤٨٥٣ وما بعدها - دار المعارف .

## وصية " عمر " لـ " أبي عبيد بن مسعود "

تقدم " عمر " إلى " أبي عبيد بن مسعود " فقال :

" إنك تقدم على أرض المكرو والخديعة ، والخيانة والجبرية ، تقدم على قوم قد جرأوا على الشر فعملوه ، وتناسوا الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون واخزن لسانك ولا تفتشين سرّك فإن صاحب السر ما ضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضيعه كان بمضيعة .

## ٢- وصيته لـ " سعد بن أبي وقاص "

وصى " سعد بن أبي وقاص " حين أمره على حرب العراق فقال :

" أيا سعد بن أبي وقاص ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ( ﷺ ) فإن الله - عز وجل - لا يحو السيئ بالسيئ ولكنه يحو السيئ بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، والله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذي رأيت النبي ( ﷺ ) منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه فإنه الأمر هذه عظتى إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين .

## ووصيته للمجاهدين

كان " عمر بن الخطاب " - رضى الله عنه - يقول عند عقد الألوية : " بسم الله وبالله ، وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله ، وما النصر إلا من عند الله ، ولزيم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ولا تجنبوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور<sup>(١)</sup> ، ولا تقتلوا هرمًا ، ولا امرأة ولا وليدًا ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان ، وعند شن الغارة عليهم<sup>(٢)</sup> .

### وصية " عمرال " يعلى بن أمية " في إجلاء أهل خبران

روى الطبرى قال :

كان أول بعث بعثه " عمر " بعث أبى عبيد ثم بعث " يعلى بن أمية " إلى اليمن ، وأمر بإجلاء أهل نجران لوصية رسول الله ( ﷺ ) فى مرضه بذلك ، ولو وصية أبى بكر - رحمه الله - بذلك فى مرضه - وقال : " إنَّهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم أجِّلهم من أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، و'مسح أرض كل من تجلى منهم ثم حَيَّرهم البلدان ، وأعلنهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله ألا يترك جزيرة العرب دينان ، فليخرجوا من أقام على دينه منهم ، ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم إقراراً لهم بالحق على أنفسنا ، ووفاء بزمتهم ، فيما أمر الله من ذلك بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار بجيرانهم بالريف .

1 - الغلبة .

2 - شن الغارة عليهم صيها من كل وجه .

## وصية أبي طالب لوجهه قريش عند موته

ما حضرت "أبا طالب" الوفاة جمع إليه وجوه قريش فإوصاهم فقال :

" يا معشر قريش أنتم صفة الله من خلقه وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدام الشجاع ، الواسع الباع ، و'علموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلکم بذلك على الناس الفضيلة ، وإهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب ، وعلى حريكم ألب<sup>(١)</sup> ، وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية - يعنى الكعبة - فإن فيها مرضاة للرب وقواماً للمعاش وثباتاً للوطأة ، صلوا أرحامكم فإن صلة الرحم منسأة<sup>(٢)</sup> فى الأجل ، زيادة فى العدد اتركوا البغى والعقوق ، ففيهما أهلكت القرنين قبلكم ، أجيئوا الداعى ، وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف الحياة والمات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة فإن فيها محبة فى الخاص ، ومكرمة فى العام .

وإنى أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جائكم بأمر قبلة الجنان<sup>(٣)</sup> وأنكره اللسان مخافة الشتات ، وأيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها ، وثورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً ، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد

- أى ذوو ألب : والألب : التدبير على العدو من حيث لا يعلم .

2 - أى فسحة واتدادا : من نسأه أى أخبره .

3 - القلب .

محضته<sup>(١)</sup> العرب ، ونادها ، وأصغت له بلادها ، وأعطته قيادها ، يا معشر قرينش ، كونوا له ولاة ، واحزبه حماة ، والله لا يسلب أحد سبيله إلا رشيداً ولا يأخذ بهديه أحد إلا سعد ، ولو كان لنفسى مدة وفى أجلي تأخير ، لكففت عنه الهزاهز<sup>(٢)</sup> ، وادافعت عنه الدواهى .

### وصية عمير بن حبيب الصحابي لبنيه

أوصى " عمير بن حبيب " بنيه فقال :

" يا بنى إياكم ومخالطة السفهاء ، فإن مجالتهم داء ، وإن من يحلم عن السفية يُسرّ بحلمه ، ومن يجبه يندم ، ومن لا يقرّ بقليل ما يأتى به السفية ، يقر بالكثير ، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف ، أو ينهى عن المنكر ، فليوطن قبل ذلك على الأذى ، وليوتن بالثواب من الله - عز وجل - إنه من يوتن بالثواب من الله - عز وجل - لا يجد مسَّ الأذى .

### وصية " دريد بن الصمة "

قال " دريد بن الصمة " مالك بن عوف النصرى ، قائد هوازن يوم حنين :

" يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم له ما بعده من أيام ، مالى أسمع رُغَاءَ البعير ، ونهيق الحمير ، وبكاء الصغير ، وزعاق الشاة ، قال : سُقَّتْ مع الناس أبنائهم ونسائهم وأموالهم قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، فأنقض به ، ثم قال راعى ضأنٍ والله ، وهل يرد

1 - محاضره الود : وأمحصه : أخلصه .  
2 - الهزاهز والهزهزة تحريك البلايا والحروب الناس .

المنهزم عن شئ؟ إنها إن كانت لك ، لم ينفك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فحت في أهلك ومالك .

ويحك إنك لم تصنع بتقديم البيضة ، بيضة هوازن إلى نحر الخيل شيئاً ارفعهم إلى ممتنع بلادهم ، وعلياء قومهم ، ثم ألق الصبا على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من ورائك ، وإن كانت عليك ، كنت قد أحرزت أهلك ومالك قال : لا والله ما أفعل إنك قد كبرت وذهل عقلك .

قال " دريد " : هذا يوم لم أشهده ، ولم يفتنى ثم أنشا يقول ،

يا ليتنى فيها جَزَع      أُحِبَّ فيها وأضع  
أقود وطفاء الزمع      كأنه شاة صدع

وصية : قيس بن عاصم المنقري " لبنيه

أوصى قيس بن عاصم المنقري بنيه فقال :

" يا بني خذوا عني ، فلا أحد أصلح لكم مني ، إذا دفنتموني فانصرفوا إلى رحالكم ، فسوّدوا أكبركم ، فإن القوم إذا سوّدوا أكبرهم خلقوا أباهم ، وإذا سوّدوا أصغرهم أربى ذلك بهم في أكفائهم ، وإياكم ومعصية الله ، وتطيعه الرحم وتمسكوا بطاعة أمرائكم ، فإنهم من رفعوا ارتفع ، ومن وضعوا اتضع ، وعليكم بهذا المال فأصلحو؛ فإنه منبهة للكريم ، وجنة اللئيم ، وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل وإن أحداً لم يسأل إلا ترك الكسب ، وإياكم والنياحة ، فإنى سمعت رسول الله ( ﷺ ) ينهى عنها ، ودفنوني في ثيابي التي كنت أصلى فيها وأصوم ، ولا يعلم " بكر بن وائل " بمدفنى ، فقد كانت بيني وبينهم مشاحنات في الجاهلية والإسلام ، وأخاف أن يدخلوا عليكم بي عاراً ، وخذوا عني ثلاث خصال : إياكم وكل عرق لئيم

أن تلابسوه فإنه إن يسرركم اليوم ، يسؤكم غداً ، واكظموا الغيظ ، واحذروا بنى  
أعداء آبائكم فإنهم على منهاج آبائهم ، ثم قال :

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا فلن تبيد وللآباء أبناء

## وصية أخرى

أمد "أبا بكر أبا عبيدة" بجيش عليه "عمر بن العاص" فلما أراد  
الشخوص خرج معه "أبو بكر" - رضى الله عنه - يثيعة وقال :

"يا عمرى إنك نورأى وتجربة بالأمور وتبصرة بالحرب ، وقد خرجت مع  
أشراف قومك ، ورجال من صلحاء المسلمين ، وأنت قادم على إخوانك فلا تتلهم  
نصيحة ، ولا تدخر عنهم صالح مشورة ، فرب رأى لك محمود فى الحرب ، مبارك  
فى عواقب الأمور ، فقال له عمرى : ما أخلقنى أن أصدق ظنك وأن أقبل رأىك  
ثم ودعه وانصرف .

## وصيته لشرحبيل بن حسنة

ووجه "شرحبيل بن حسنة" وودعه فقال له : يا شرحبيل ، ألم تسمع وصيتى "  
ليزيد بن ابي سفيان " ؟ قال : بلى .

قال : فإنى أوصيك بخصال أغفلت ذكرهن "ليزيد" أوصيك بالصلاة فى  
وقتها ، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل وبعيادة المرضى ، وبحضور الجنائز  
ونكر الله كثيراً على كل حال .

### وصيته لـ "أبي عبيدة بن الجراح"

ولما أراد أن يبعث "أبا عبيدة بن الجراح دعاه فودعه ثم قال له :

" اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ، ثم يعمل بما أمر به إنك تخرج من أشرف الناس ، وبيوتات العرب ، وصلحاء المسلمين ، وفرسان الجاهلية كانوا يقاتلون إذ ذاك على الحمية وهم اليوم يقاتلون على الحسبة والنية الحسنة أحسن صحبة من صحبك ، وليكن الناس عندك في الحق سواء ، واستعن بالله وكفى بالله معيناً ، وتوكل عليه وكفى بالله وكيلاً ، أخرج من غد إن شاء الله .

### وصيته لـ "أبي عبيدة بن الجراح" أيضاً

فلما كان من الغد خرج "أبو بكر" - رضى الله عنه - يمشى فى رجال من المسلمين ، حتى أتى أبا عبيدة ، فسار معه حتى بلغ ثنية الوناع ، ثم قال حين أراد أن يفارقه : " يا أبا عبيدة ، أعمل صالحاً ، وعش مجاهداً ، وتوف شهيداً يعطيك الله كتابك بيمينك ، ولا تفر عينك فى دنياك وآخرتك فوالله إنى لأرجو أن تكون من التوابين الأوابين المخبئين الزهدين فى الدنيا ، الراغبين فى الآخرة ، إن الله قد صنع بك خيراً ، وساقه إليك ، إذ جعلك تسير فى جيش من المسلمين إلى عدوه من المشركين ، فقاتل من كفر بالله وأشرك به ، وعبد معه غيره .

## وصية " أبى بكر " لـ " هاشم بن عتبة "

ولما سار " هاشم بن عتبة " ودعه " ابو بكر " - رضى الله عنه - وقال له :

" يا هاشم إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدبيره، وكنا ننتفع من الشاب بصبره ، وبأسه ونجدته ، وإن الله - عز وجل - قد جمع لك تلك الخصال كلها وأنت حديث السن ، مستقبل الخير ، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر واعلم أنك لا تخطو خطوة ، ولا تنفق نفقة ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحاً ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين .

فقال هاشم : إن يرد الله بى خيراً يجعلنى كذلك ، وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله وأنا أرجو إن أنا لم أقتل أن أقتل ثم اقتل إن شاء الله .

فقال له عمه " سعد بن أبى وقاص " - رضى الله عنه - : " يا ابن أختى لا تطعن طعنة ولا تضربن ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله ، واعلم أنك خارج من الدنيا رشيداً ، وراجع إلى الله قريب ، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدّمته ، أو عمل صالح أسلفته .

فقال أبى عم : لا تخالن منى غير هذا ، إنى إذناً لمن الخاسرين إن جعلت حلى وارتحالى وعدوى ووزاحى وسيفى وطعننى برمى وضربى بسيفى رياءً للناس ثم خرج فقدم على أبى عبيدة فتباشر بمقدمة المسلمين .

## وصية أبي عبيدة للمسلمين

### وقد أصابه طاعون عمواس

وكان طاعون عمّوأس قد عمّ أهل الشام ( سنة ١٨ هـ ) ومات فيه بشركثير ومات فيه أبو عبيدة - رحمه الله - .

ولما طُعِنَ " أبو عبيدة " وهو بالأردن ، دعا المسلمين ، فلما دخلوا عليه قال :  
" إني أوصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزلوا بخير ما بقيتم ، وبعدما تهلكون أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وصوموا وصدقوا ، وحجوا واعتمرأ وتواصوا وتحابوا وصدقوا أمرائكم ولا تغشوهم ، ولا تلهكم الدنيا فإن امرئ لو عمَّرَ ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترؤن وإن الله قد كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون وأكرمهم منهم أطوَعُهُم لربه ، وأعلمهم ليوم مياعاده ، ثم قال :  
" يا معاذ صلّ بالناس ، فصلى معاذ بالناس ومات أبو عبيدة - رحمه الله . "

### وصية لـ " معاذ بن جبل "

ثم صلى ورجع إلى منزله فإذا هو بابنه عبد الرحمن قد طُعِنَ ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات يرحمه الله ، وصلى عليه معاذ ثم دفنه فلما رجع معاذ إلى منزله طعن فاشتد به وجعه ، وجعل أصحابه يختلفون إليه فإذا أتاه أصحابه أقبل عليهم .

فقال لهم ، اعملوا وأنتم فى مهلة وحياة ، وفى بقية من آجالكم من قبل أن تموتوا العمل فلا تجدوا إليه سبيلاً وأنفقوا مما عندكم لما بعدكم قبل أن تهلكوا وتدعوا ذلك كله ميراثاً لمن بعدكم واصلحوا أنه ليس لكم من أموالكم إلا ما أكلتم وشربتم وأنفقتم وأعطيتهم فأمضيتهم وما سوى ذلك فللوا رثين .

## وصية لمعاذ بن جبل أيضاً

وآتاه رجل في مرضه فقال :

" يا معاذ علمنى شيئاً ينفعنى الله به قبل أن تفارقنى ، فلا أراك ولا ترانى ولا أجد منك خلفاً ثم لعلّى أن أحتاج إلى سؤال الناس عما ينفعنى بعدك فلا أجد فيهم مثلك فقال معاذ : كلا إن صلحاء المسلمين – والحمد لله – كثيرٌ ، ولن يضيع الله أهل هذا الدين ، ثم قال له : " خذ عني ما أمرك ، كن من الصائمين بالنهار ومن المصلين في جوف الليل ، ومن المستغفرين بالأسحار ، ومن الذاكرين الله على كل حال كثيراً ، ولا تشرب الخمر ، ولا تزني ، ولا تعق والديك ولا تأكل مال اليتيم ولا تفر من الزحف ، ولا تأكل الربا ، ولا تدع الصلاة المكتوبة ، ولا تضيع الزكاة المفروضة ، وصل رحمك وكن بالمؤمنين رحيماً ، ولا تظلم مسلماً ، وحج واعتمر وجاهد ، ثم أنا لك زعيم بالجنة .

ومات رحمه الله ، وقد استخلف " عمرو بن العاص " فصى عليه عمرو فلما دفنه قال : " رحمك الله يا معاذ فقد كنت – ما علمناك – من نصحاء المسلمين ومن خيارهم وأعلامهم ، ثم كنت مؤدباً للجاهل ، شديداً على الفاجر ، رحيماً بالمؤمنين – وأيم الله – لا يستخلف من بعدك مثلك .

## وصية لـ " سعد بن أبي وقاص "

ولما أراد أن يسرّحه دعاه فقال :

إني قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي فإنك تقدم على أمر شديد كرهه لا يخلص منه إلا الحق ، فعوّذ نفسك ومن معك الخير واستفتح به ، واعلم أن لكل عادة عتاداً ، فعَتَادُ الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابتك ، يجتمع لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين :

في طاعته ، واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه بيبغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا ويبغض الآخرة والمقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً ، منها السر ، ومنها العلانية فأما العلانية فأن يكون حامده وزامه في الحق سواءً ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحببة الناس ، فلا تزهد في التحبب ، فإن النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً حبه وإذا أبغض عبداً أبغضه ، فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزتك عند الناس فمن يشرع معك في أمرك .

## وصية أخرى لـ " سعد بن أبي وقاص "

وكتب " عمر بن الخطاب " إلى " سعد بن أبي وقاص " - رضي الله عنهما -

ومن معه من الأجناد .

" أما بعد ، فإن أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراً من المعاصي ، منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، وأولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عدونا ليس كعدوهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، إلا ننصر عليهم لفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا بأن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا

شر منا فلن يسلط علينا ، فزُبَّ قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل " لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم وترفق بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تجشمهم سيراً يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم ( والسفر لم ينقص قوتهم ) فإنهم سائرون إلى عدو مقيم ، حامى الأنفس والكراع ، واقم بمن معك في كل جمعة يوماً وإيلة ، حتى تكون لهم راحة يحيون فيها لأنفسهم ، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يراً أحد من أهلها شيئاً فإن لهم حرمة وذمة ابتليتكم بالوفاء بها ، كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبراً لكم فتولوهم خيراً ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح ، وإذا وطأت أرض العدو فأنتك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل من الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذوب لا ينفعلك خيراً ، وإن صدقك في بعضه ، والغاش عين عليك ، وليس عيناً لك وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبت السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتتبع الطلائع عورتهم وتنقل الطلائع أهل الرأى واللبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخير فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد ، والصبر على الجراد ولا تخفى بها أحداً بهون فتضيع من رأيك وأمرك ، أكثر مما أحببت به أهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعة ، ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية فإذا عاينت العدو فاضم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع إليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة ، ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتلته ، وتعرف الأرض كلها كعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه به ، ثم أذك أحراسك على عسكريك وتيقظ ، وتيقظ من البيات جهديك ، ولا تؤت بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله ولي أمرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان .

## الدعاء

وكان " أبو بكر " - رحمه الله - يدعو في كل يوم غدوة وعشية في دبر كل صلاة الغداة وبعد العصر يقول ،

" اللهم إنك خلقتني ولم نك شيئاً ، ثم بعثت إلينا رسولاً ، رحمةً منك لنا وفضلاً منك علينا ، فهديتنا وكنا ضلالاً ، وحببت إلينا الإيمان وكنا كُفَّاراً ، وكَثَّرتْنا وكنا قليلاً ، وجمعتنا وكنا أشتاتاً ، وقويتنا وكنا ضعافاً ، ثم فرضت علينا الجهاد وأمرتنا بقتال المشركين حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، اللهم لأصبحنا أن نطلب رضاك ونجاهد أعدائك من عدل بك ، وعبد معك إلهاً غيرك ، تعاليت عما يقولون علواً كبيراً ، اللهم فانصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين ، اللهم افتح لهم فتحاً كبيراً ، وانصرهم نصراً عزيزاً ، واجعل لهم من لدنك سلطاناً نصيراً ، اللهم شجع جنوبيهم ، وثبت أقدامهم ونزل بعدوهم وأدخل الرعب قلوبهم ، واستأصل شاققتهم ، واقطع دابرهم ، وأبد خضرائهم ، وأورثنا أرضهم ، وديارهم وأموالهم ، وكن لنا ولياً ، وبنا جنياً ، وأصلح لنا شأننا كله ونياتنا وقضائنا وتبعاتنا واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ، واغفر لنا والمؤمنين ، والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، إنه بالمؤمنين رءوف رحيم .

## ما قال " ربيعة بن عامر " عند رستم " قائد جيش الفرس "

وأرسل " رستم " قائد جيش الفرس إلى " سعد بن أبي وقاص " أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا فبعث إليه " ربيعة بن عامر " فلما انتهى إليه قال له الترجمان واسمه " عيون " من أهل الحيرة : ما جاء بكم ؟ قال :

" الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ، لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوتنا ومن أبي قاتلناه أبدا ، حتى نفضى إلى موعود الله قال : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبي والظفر لمن بقى .

## وصية عليّ لـ " قيس بن سعد "

ولما قتل عثمان – رضى الله عنه – وولى " علي بن أبي طالب " الأمر دعا قيس

بن سعد بن عبادة الأنصارى وولاه مصر عام ٣٦ هـ وقال له :

" سر إلى مصر فقد أبيتكها ، وأخرج إلى رحلك وأجمع إليك ثقافتك ، ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فإن ذلك أرعب لعدوك ، وأعز لوليك فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن ، واشتد على المريب ، وأرفق بالعامّة والخاصة فإن الرفق يُمن .

## وصيته لـ " أسامة بن زيد "

وأوصى أسامة بن زيد وجيشه حين سيره، إلى " أئبى " <sup>(١)</sup> ، فقال :

" يا أيها الناس : قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ، ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ولا تقعروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجراً مثمراً ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرة ولا بغيراً إلا لمأكله ، وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شئ فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواماً قد فحسوا أوساط رؤوسهم ، وتركوا حولها مثل العصائب فاحفقوهم بالسيف خفياً ، اندفعوا باسم الله . "

## ١ - وصيته لـ " عمرو بن العاص والوليد بن عقبة "

وطيخ " عمرو بن العاص والوليد بن عقبة " مبعثهما على الصدقة ، وأوصى كل واحد منهما بوصية واحدة :

" اتق الله فى السر والعلانية ، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ، فإن تقوى الله خير ما تولى به عباد الله ، إنك فى سبيل من سبل الله ، لا يسعك فيه الإدهان والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم ، وعصمة أمركم فلا تئن ، ولا تفتر . "

1 - أئبى : موضع بقرب مؤته بمشارك الشام قتل فيه والده " زيد بن حارثة " .

## ٢- وصيته لـ " خالد بن الوليد "

ووصى " أبو بكر " خالد بن الوليد فقال :

" سر على بركة الله ، فإذا دخلت أرض العدو فكن بعيداً من الحملة فإنى لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزُد ، وسر بالأدلاء ولا تقاتل بمجروح ، فإن بعضه ليس منه ، واحترس من البيات ، فإن في العرب غرة ، وأقلل من الكلام ، فإن مالك ما وعى عنك ، واقبل من الناس علانيتهم ، وكلهم إلى الله فى سريرتهم وأستودعك الله الذى لا تضيع وندأعه " .

## وصية " خالد بن سعيد بن العاص " لـ " أبى بكر "

ولما أراد " خالد بن سعيد بن العاص " أن يغدو سائراً إلى الشام ، لبس سلاحه وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم ، عمراً والحكم وأبان ، وعلمته ومواليه ، ثم أقبل إلى أبى بكر - رضى الله عنه - بعد صلاة الغداة وصلى معه ، فلما انصرفوا قام إليه هو وإخوته ، فجلسوا إليه فحمد الله " خالد " وأثنى عليه وصلى على النبى ( ﷺ ) ثم قال :

" يا أبا بكر إن الله أكرمنا وإياك والمسلمين طراً بهذا الدين ، فأحق من أقام السنة ، وأمات البدعة ، وعدل فى السيرة ، والوالى على الرعية ، وكل امرئ من أهل هذا الدين محقوق بالإحسان ، ومعدلة الوالى أعم نفعاً ، فاتق الله يا أبا بكر " فيمن ولاك الله أمره ، وارحم الأرملة واليتيم وأعن الضعيف المظلوم ، ولا يك رجل من المسلمين إذا رضيت عنه أثر عندك فى الحق منه إذا سخطت عليه ، ولا تغضب ما غضبت على ذلك فإن الغضب يجر الجور ، ولا تحقد على مسلم وأنت تستطيع

فإن حقدك على المسلم يجعلك له عدواً ، ومن اطلع على ذلك منك عاداك ، فإذا عادى الوالى الرعية ، وعادت الرعية الوالى كان ذلك قمناً أن يكون إلى هلاكهم داعياً ، وكن لنا للمحسن ، واشدد على المريب ، ثم قال : هات يدك فإنى لا أدرى هل نلتقى فى الدنيا بعد هذا اليوم ؟

فإن قضى الله لنا التقاء فنسأل الله عفوه وغفرانه ، وإن كانت هى الفرقة التى ليس بعدها التقاء ، فعرفنا الله وإياه وجه النبى ( ﷺ ) فى جنات النعيم فأخذ " أبو بكر " - رضى الله عنه - ثم بكى وبكى خالد والمسلمون ، وظنوا أنه يريد الشهادة .

## وصية " أبو بكر " لـ " خالد بن سعيد بن العاص "

فلما خرج من المدينة قال له " أبو بكر " - رضى الله عنه - :

"إنك قد أوصيتنى برشدى وقد وعيتة ، وأنا موصيك فاستمع وصيتى وعها إنك امرئ قد جعل الله لك سابقة فى الإسلام ، وفضيلة عظيمة ، والناس ناظرون إليك ، ومستمعون منك ، وقد خرجت فى هذا الوجه العظيم الأجر ، وأنا أرجو أن يكون خروجك نية لحسبة ونية صادقة إن شاء الله ، فثبت العالم ، وعلم الجاهل وعاتب السفیه ، المترف وانصح لعامة المسلمين ، واخص الوالى على الجند من نصيحتك ومشورتك ما يحق الله والمسلمين عليك ، واعمل لله كأنك تراه ، واعد نفسك فى الموتى ، واعلم أن عما قليل ميتون ، ثم مورثون ثم مساءلون ومحاسبون جعلنا وإياك لأنعمه من الشاكرين والنقمة من الخائفين ، ثم أخذ يدعو ودعه " .

## وصية أبي بكر لـ " عمرو بن العاص "

ولما أجمع أبي بكر أن يبعث الجيوش إلى الشام كان أول من سار من عماله " عمرو بن العاص " وخرج " أبو بكر " يمشى إلى جنب راحلة " عمرو بن العاص " وهو يوصيه ، ويقول :

" يا عمرو اتق الله في سر أمرك وعلانيته ، واستحيه فإنه يراك ويرى عملك وقد رأيت تقديمي إياك على من هو أقدم منك ، ومن كان من أعظم غناء عن الإسلام وأهله منك ، فكن من عمال الآخرة ، وأرد بما تعمل وجه الله ، وكن والداً لمن معك ولا تكشفن الناس عن أستارهم ، واكتف بعلايتهم ، وكن مُجداً في أمرك واصدق اللقاء إذا لاقيت ولا تجبن ، وتقدم في العلوم ، وعاقب عليه ، وإذا وعظت أصحابك فأوجز وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك .... وصية له طويلة ."

### وصية " أبي بكر " لـ " عمر " - رضى الله عنهما - عند موته

إني أستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤنى الفريضة فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزن لا يوضع فيه إلى الحق أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم ، وحق لميزن لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً ، إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني أخاف ألا أكون من هؤلاء وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً

راهباً ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقي بيده إلى التهلكة فإذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمُعجز له .

### وصية " عمر " لـ " أبي عبيد بن مسعود "

وتقدم عمر إلى أبي عبيد بن مسعود فقال :

" إنك تقدم على أرض المكر والخديعة ، والخيانة والجبرية ، تقدم على قوم قد جروا على الشر فعلموه ، وتناسوا الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون ، واخزن لسانك ولا تُفشي لنا سرنا فإن صاحب السر ما ضبطه فتحصن لا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضيعته كان بمضيعة " .

### وصيته لـ " سعد بن أبي وقاص "

وصى سعد بن أبي وقاص حين أمّره على حرب العراق فقال :

" يا سعد بن وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ( ﷺ ) وصاحب رسول الله ، فإن الله - عز وجل - لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذي رأيت النبي ( ﷺ ) منذ بُعث إلى أن فارقنا فالزمه ، فإنه الأمر ، هذه غُطّيت إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين " .

## وصية "العباس بن عبد المطلب" (المتوفى ٣٢هـ) لـ ابنه عبد الله

قال عبد الله بن عباس " قال لى أبى :

" يا بنى إنى أرى أمير المؤمنين - يعنى عمر بن الخطاب - قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والأنصار، وإنى موصيك بخلال أربع : لا يجرين عليك كذبا ولا تغتابن عنده مسلماً ، ولا تفشين له سراً ، ولا تطو عنه نصيحة ، قال : فقلت يا أبه .

كل واحدة منها خير من ألف . فقال : كل واحدة منها خير من عشرة آلاف .

## وصية عمر لـ " الخليفة من بعده "

وأوصى عمر الخليفة من بعده فقال :

أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً أن تعرف لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً ، فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم رذء العدو وجباة الفئى ، لا تحمل فيئهم ، إلا عن فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنهم أهل العرب ، ومادة الإسلام أن تأخذ من حواشى أموال أغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيراً ، أن تقاتل من ورائهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً ، أو عن يدٍ وهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ، ومخافة أن يطلع منك على ريبة ، وأوصيك أن تخشى الله فى الناس ، وتخشى الناس فى الله وأوصيك بالعدل فى الرعية ، والتفرغ لحوائجهم وتغورهم ، ولا تُؤثر غنيهم على فقيرهم ، فإن ذلك بإذن الله سلامة لقلبك ، وحط لوزرك ، وخير فى عاقبة أمرك حتى تفضى من ذلك إلى من يعرف سريرتك ، وبحول بينك وبين قلبك ، وأمرك أن تشتد فى أمر الله ، ونفى حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم ، ثم لا تأخذك فى أحد رأفة حتى تنتهك منه ، مثل ما انتهك من حرمة الله ، واجعل الناس عندك سواء ، لا تبالى على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك فى الله لومة لائم ، وإياك والأثرة والمحابة فيما ولاك الله ، فما أفاء الله على المؤمنين ، فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك

من ذلك ما قد وسعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة وأنت إلى الآخرة جد قريب ، فإن اقتربت لديناك عدلاً وعفة عما بسط الله لك اقتربت به إيماناً ورضواناً ، وإن غلبك الهوى ، اقتربت به سخط الله ، وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة ، وقد أوصيتك وحضتكم ونصحتك ، فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة ، واخترت من دلائلك ما كنت دالاً عليه نفسى وولدى ، فإن عملت بالذى وعظتكم وانتهيت إلى الذى أمرتك ، أخذت به نصيباً وافراً ، وحظاً وافياً ، وإن لم تقبل ذلك ، ولم يهكم ولم تنزل معازم الأمور عند الذى يرضى الله به عنك يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيت فيه مدخولاً ، لأن الأهواء مشتركة ورأس كل خطيئة إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة ، وقد أضل القرون السالفة قبلك ، فأوردهم النار ، ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة عدو الله الداعى إلى معاصيه ، ثم اركب الحق وخض إليه الغمرات ، وكن واعظاً لنفسك ، أنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين ، فأجل كبيرهم ، وراحم صغيرهم ، وقرع عالمهم ، ولا تضر بهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالفى فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطايهم عند محلها فتفقرهم ، ولا تجمرهم فى البعوت فتقطع نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فيأكل قلوبهم ضعيفهم ، هذه وصيتى إياك وأشهد الله عليك ، واقرأ عليك السلام .

### وفى رواية الطبرى :

قال : " وأوصى الخليفة من بعدى بالأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم ، وأوصى الخليفة من بعدى بالعرب فإنها مادة الإسلام أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع فى فقرائهم ، وأوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله ( ﷺ ) أن يوفى لهم بعدهم ، اللهم هل بلغت ؟  
تركت الخليفة من بعدى على أنقى من الراحة .

## وصية شريح بن هانئ لـ " أبي موسى الأشعري "

ولما أراد أبو موسى المسير قام إليه شريح بن هانئ الحارثي فأخذ بين يديه وقال :  
" يا أبا موسى : إنك قد نصبت لأمر عظيم لا يجبر صدعه ، ولا تقال فلنته  
ومهما من شئ لك أو عليك ، يثبت حقه ، ويرى صحته وإن كان باطلاً ، وإنه لإبقاء  
أهل العراق إن ملكهم معاوية ، ولا بأس على أهل الشام إن ملكهم عليّ ، وقد كانت  
منك تشبيطه ، أيام الكوفة والجمال ، فإن تشفعها بمثلها يكن الظن بك يقينا  
والرجاء منك يأساً ثم قال :

أبا موسى : رُميت بشر خصم	فلا تضع العراق (فدتك نفسي)
وأعط الحق شامهم وخذه	فإن اليوم في مهل كأس
وإن غداً يجيئ بما عليه	كذاك الدهر من سن ونحس
ولا يخذعك عمرو إن عمراً	عدو الله مطلع كل شمس
له خدع يحار العقل منها	مموهة مزخرفة بلبس
لا تجعل معاوية بن حرب	كشيخ في الحوادث غير نكس
هداه الله للإسلام فرداً	سوى عرس النى وأى عرس؟

فقال أبو موسى : " ما ينبغي لقوم اتهموني أن يرسلوني لأدفع عنهم باطلاً  
أو أجر إليهم حقاً " .

## وصية الأحنف بن قيس لـ " أبي موسى الأشعري "

ولما حُكم أبو موسى الأشعري أتاه الأحنف بن قيس فقال له :

" يا أبا موسى : إن هذا مسير له ما بعده ، من عز الدنيا أو ذلها آخر الدهر ادع  
القوم إلى طاعة عليّ ، فإن أبوا فادعهم أن يختار أهل الشام من قريش العراق من  
أحبوا ، ويختار أهل العراق من قريش الشام من أحبوا ، وإياك إذا لقيت ابن  
العاص أن تصافحه بنية ، وأن يقعدك على صدر المجلس فإنها خديعة وأن يضمك

وإياه بيت فيكمن لك فيه الرجال ، ودعه فليتكلم لتكون عليه بالخيار فالبادئ مستغلق والمجيب ناطق ، .

فما عمل أبو موسى إلا بخلاف ما قال الأحنف ، وأشار به ، فكان من الأمر ما كان فلقبه الأحنف بعد ذلك ، فقال له : " أدخل والله قدميك في خفّ واحدة " .

### وصية معاوية لـ " عمرو بن العاص "

#### ١- وقال معاوية لعمرو :

"إن أهل العراق أكرهوا علياً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون عنك وأرجو في دفع هذه الحرب قوة لأهل الشام ، وفرقة لأهل العراق ، وإمداداً لأهل اليمن ، وقد ضمّ إليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأي ، وله على ذلك دين وفضل فدعه يقول فإذا هو قال فاصمت ، واعلم أن حسن الرأي زيادة في العقل ، إن خوفك بالعراق فخوفه بالشام ، وإن خوفك مصر فخوفه باليمن ، وإن خوفك علياً فخوفه بمعاوية ، وإن أتاك بالجميل فأتته بالجميل .

#### ٢- رد عمرو بن العاص عليه :

" يا أمير المؤمنين : أقلل الاهتمام بما قبلي ، وأرج الله تعالى فيما وجهتني له إنك من أمرك على مثل حد السيف ، لم تنل في حربك ما رجوت ، ولم تأمن ما خفت ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً ، وقد ذكرت لأبي موسى ديناً وإن الدين منصور ، أرايت إن ذكر علياً وجاءنا بالإسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول ؟ " فقال معاوية : " قل ما تريد وتري " .

## وصية معاوية لـ " عمرو بن العاص "

١- وجهز معاوية عمرو بن العاص ، وبعثه في ستة آلاف رجل ، وخرج وودعه وقال له عند وداعه إياه :

" أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق ، فإنه يُمن ، وبالمهل والتؤدة ، لإن العجلة من الشيطان ، وبأن تقبل ممن أقبل ، وأن تعفو عن أدبر ، فإن قبل فبها ونعمت وإن أبى فإن السطورة بعد المعذرة أبلغ في الحجة ، وأحسن في العاقبة ، وادع الناس إلى الصلح والجماعة فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آخر الناس عندك وكلّ الناس فأول حُسنا " .

## الرشاء

### رثاء " معاذ بن جبل " لـ " أبي عبيدة "

" رحمك الله يا أبا عبيدة ، فوالله لأتئين عليك بما علمت ، والله لا أقول باطلاً ، أخاف أن يلحقني من الله مقت كنت والله - ما علمت - من الذاكرين الله كثيراً ، ومن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، ومن الذين يبیتون لرهبهم سجداً وقياماً ، ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ، وكن والله من المخبتين المتواضعين ، ومن الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويبغضون الجفاة المتكبرين " .

ولم يكن أحد من الناس كان أشد جزعاً على فقد " أبي عبيدة " وعلى موته ولا أطول حزناً عليه من " معاذ بن جبل " .

## المقال

### مقال حجر بن عدى

وقام حجر بن عدى فقال :

" يا أميرا المؤمنين نحن بنو الحرب ، وأهلها الذين تُلَقِّهُها ونتجها قد ضار سقنا وضار سناها ، ولنا أعوان وعشيرة ذات عدد ، ورأى مجرَّب ، وبأس محمود وأزمتنا منقادة لك بالسمع والطاعة ، فإن شَرِّقت شَرِّقنا ، وإن غَرِّبت غَرِّبنا وما أمرتنا به من أمر فعلنا "

فقال عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أكل قومك يرى مثل رأيك ؟ قال : ما رأيت منهم إلا حسنا ، وهذه يدى عنهم بالسمع والطاعة وحسن الإجابة ، فقال له على رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خيراً .

### مقال هاشم بن عتبة

وقال " زياد بن النضر الحارثي " لـ " عبد الله بن بديل الخزاعي " :

إن يومنا عَصِيب، ما يصبر عليه إلا كل مشبع القلب ، صادق النية ، رابط الجأش ، وأيم الله ما أظن ذلك اليوم يبقى منهم ولا منا إلا الرُّذال ، فقال عبد الله بن بديل : أنا والله أظن ذلك ، فبلغ كلامهما علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فقال لهما :  
" ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما ، لا تظهراه ولا يسمعه منكما سامع  
إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وكل آتية منيته كما كتب الله له  
فطوبى للمجاهدين في سبيله ، والمقتولين في طاعته ، فلما سمع "هاشم بن عتبة"  
ما قالاه أتى علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال :

" سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم والذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعملوا في عباد الله ، بغير رضا الله فأحلوا حرامه ، وحرّموا حلاله ، واستهوى بهم الشيطان ووعدهم الأباطيل ، ومناههم الأمانى ، حتى أرغهم عن الهدى ، وقصد بهم قد الردى ، وحبب إليهم الدنيا ، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها ، كرهبتنا فى الآخرة ، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله ( ﷺ ) رحماً ، وأفضل الناس سابقة وتقدماً ، وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذى تعلم ، ولكن كتب عليهم الشقاء ، ومالت بهم الأهواء وكانوا ظالمين ، لأننا ايدينا مبسوطة بالسمع والطاعة ، وقلوبنا منشحة لك بذل النصيحة ، وأنفسنا تنصرك على من خالفك ، وتولى الأمر دونك جزئة ، والله ما أحب أن لى ما على الأرض فما أقلت ، ولا ما تحت السماء فما أظلت ، وأنى واليت عدواً لك ، وعاديت وإياً لك " .

فقال على رضى الله عنه : " اللهم ارزقه الشهادة فى سبيلك والموافقة لنبيك "



## أهم المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- السنة النبوية المطهرة .
- ٣- أثر القرآن في تطور النقد الأدبي إلى آخر القرن الرابع الهجري تأليف / محمد زغلول سلام ، القاهرة ١٩٥٢م .
- ٤- الأصل والبيان لمعرب القرآن ، تأليف / حمزة فتح الله ، مصر ، طبعة مصر .
- ٥- أوائل السور في القرآن الكريم ، تأليف / على نصوح الطاهر ، عمان ١٩٥٤م .
- ٦- الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ، تأليف / أبي الأعلى المودوني ( تعريب محمد عاصم الحداد ) دمشق ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
- ٧- الإسلام والتكافل المادي في المجتمع ، تأليف / حسن خالد ، بيروت ١٩٥٩م .
- ٨- الإسلام والديموقراطية ، تأليف / أبي الأعلى المودوني ، دمشق ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
- ٩- الإسلام والعلاقات الدوائية ( في السلم والحرب ) تأليف / محمود شلتوت القاهرة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .
- ١٠- إعجاز القرآن تأليف / أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق / أحمد صقر ، القاهرة ١٩٤٥م .
- ١١- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، تأليف / مصطفى صادق الرافعي ط محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٤٥م .

١٢- اشتراكية الإسلام ، تأليف الدكتور / مصطفى السباعي ، دمشق ١٣٧٨ هـ -  
١٩٥٩ م .

١٣- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، القاهرة ( دارالكتب ) ١٩٣٣ - ١٩٥٠ .

١٤- السياسة الإسلامية في عهد النبوة ، تأليف / عبد المتعال الصعيدي  
القاهرة .

١٥- القصص الفني في القرآن ، تأليف / محمد خلف الله ، ط الثانية ، القاهرة  
١٩٥٧ م .

١٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري  
مصر ( بولاق ) ١٢٨١ هـ .

١٧- اللغات في القرآن ، لأبي محمد إسماعيل بن عمرو الحداد ( صلاح الدين  
المنجد ) القاهرة ( مطبعة الرسالة ) ١٩٤٦ م .

١٨- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، القاهرة ، البابي الحلبي .

١٩- المتوكل في ما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية ...  
إلخ ، للسيوطي ، دمشق ، مكتبة القدسي والبيدير ١٣٤٨ هـ .

٢٠- المعاهدات والمحالفات في عهد الرسول ، تأليف / حسن خطاب الوزير  
القاهرة ١٩٣٠ م .

٢١- النفاق والمنافقون في عهد رسول الله ، تأليف / إبراهيم سالم ، القاهرة  
١٩٤٨ م .

٢٢- النشر في القراءات العشر لشمس الدين محمد بن محمد الجزري ، دمشق  
مطبعة التوفيق ١٣٤٥ هـ .

- ٢٣- بين الإسلام والنظم المعاصرة ، تأليف / أبي الأعلى المودودي .
- ٢٤- تحفة الأريب بما فى القرآن من الغريب لأبى حيان الأندلسى ، حماة  
مكتبة عنوان النجاح ١٣٤٥هـ .
- ٢٥- تفصيل آيات القرآن الحكيم ، وضعه بالفرنسية ( جول لابوم ) ونقله  
إلى العربية / محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية .
- ٢٦- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، أحمد صقر ، القاهرة ، دار إحياء الكتب  
العربية ١٩٥٨م .
- ٢٧- ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، تأليف / محمد بن إبراهيم  
بن الوزير ، القاهرة ١٩٣١م .
- ٢٨- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن لمحمد بن جرير الطبرى  
( محمود محمد شاكر ) ، القاهرة ، دار المعارف ١٣٧٤ هـ - ١٣٧٨ هـ .
- ٢٩- زُد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم الجوزية ، القاهرة ، المطبعة  
المصرية ، بلا تاريخ .
- ٣٠- عصر النبى وبيئته قبل البعثة ، تأليف / هبة الدين الحسنى الشهرستانى  
بغداد ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .
- ٣١- غريب القرآن للجستانى ، مصطفى عنانى ، القاهرة ، المطبعة الرحمانية  
١٩٤٢ .
- ٣٢- فتح الرحمن لطالب آيات القرآن ، تأليف كرديب على زده فياض الله  
الحسنى المقدسى ، بيروت ١٣٣٢هـ .

- ٣٣- قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد ، تأليف / محمد جمال الدين سرور ، القاهرة ، الخانجي ١٩٣٠م .
- ٣٤- كشف الغمة في مدح سيد الأمة ، مختصر من سيرة ابن هشام وغيرها تأليف / محمود سامي الباروني ، القاهرة ١٣٥٥هـ .
- ٣٥- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى - محمد فؤاد سزكية ، القاهرة الخانجي ١٩٥٤م .
- ٣٦- مشاهد القيامة في القرآن ، تأليف / سيد قطب ، القاهرة ١٩٤٧م .
- ٣٧- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبري ( عنى بطبعه / أحمد عارف الزين صيدا ، مطبعة العرفان ١٩٣٦م .
- ٣٨- من بلاغة القرآن ، تأليف / أحمد أحمد بدوي ، القاهرة ١٩٥٠م .
- ٣٩- من توجيهات الإسلام لفضيلة الأستاذ شيخ الأزهر / محمود شلتوت القاهرة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م .
- ٤٠- نظرية الإسلام الخلقية ، تأليف / أبي الأعلى المونودي ، دمشق ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
- ٤١- نجوم الفرقان في أطراف القرآن ( ترتيب فرغلي ) .